سرقسطة

Zaragoza

بوابة الأندلس الشمالية في عصر بني هود

٤٣٠(- ٥٠٣ هـ/ ١٠٣٨ - ١١٠٩ م)



دراسة

د. عبد الوهاب خليل الدباغ



دار الهلال
للطباعة والنشر والتوزيع



د. عبدالوهاب خليل الدباغ

- ولد في الموصل عام ١٩٥٦.
- تخرج من كلية التربية جامعة الموصل ١٩٧٩.
- حصل على الدكتوراه في التاريخ الاندلسي من كلية الآداب جامعة الموصل ١٩٩٦.
- ترقى إلى مرتبة أستاذ مساعد عام ٢٠٠٦.
- له بحوث منشورة في مجلات عربية وعراقية.
- نشرت له جريدة فتى العراق الموصلية الكثير من المقالات، وما زالت تنشر له اسبوعيا سلسلة (أندلسيات).

يعمل حالياً مدرساً لمادة التاريخ في معهد اعداد المعلمين - الموصل - العراق.






al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

سرقسطة



الكتاب: سرقسطة

المؤلف: د.عبد الوهاب خليل الدباغ

تصميم الغلاف: أمل عثمان



الطبعة الأولى

٢٠١٢

د.عبد الوهاب خليل الدباغ

سرقسطة

Zaragoza

بوابة الأندلس الشمالية في عصر بني هود

(٤٣٠ – ٥٠٣ هـ/ ١٠٣٨ – ١١٠٩ م)

دراسة سياسية

١٤٣٣هـ - ٢٠١١م

مقدمة

تشمل هذه الدراسة مدينة سرقسطة (Zaragoza) الواقعة في الشمال الشرقي من الأندلس ، التي تعد قاعدة الثغر الأعلى الأندلسي ، المتكون من مدن وحصون واقاليم عديدة ، وهي في الجغرافية الحديثة تمثل عاصمة ولاية اراغون الاسبانية (Capital of Aragon) وتحاول الدراسة توضيح الملامح السياسية لهذه المدينة خلال مدة حكم أسرة بني هود العربية (٤٣٠ — ٥٠٣هـ/ ١٠٣٨ -١١٠٩م) وذلك أثناء عصر ملوك الطوائف بالأندلس.

ومن خلال الاطلاع على المصادر والمراجع ، التي تخص الموضوع تبين عدم وجود دراسة مستقلة باللغة العربية عن أسرة بني هود ، ودورها السياسي والعسكري والحضاري في سرقسطة[1]. وانما جرى الحديث عنها بشكل مختصر وعابر من خلال الدراسات الشاملة لعصر ملوك الطوائف.

كما تبين ايضا ان هذا العصر . بما فيه حقبة بني هود في سرقسطة — قد نال من غالبية المؤرخين — لا سيما المعاصرين له — الكثير من النقد والسخط البالغ ،

(1) دُرِسَت هذه المدينة وتوابعها في رسالة ماجستير تقدم بها خليل إبراهيم السامرائي إلى جامعة بغداد ، تناول تاريخها السياسي منذ الفتح الإسلامي لها عام (٩٥هـ/ ٧١٤م) حتى بداية عصر الخلافة عام (٣١٦هـ/ ٩٢٨م) وقد طبعت تحت عنوان: الثغر الأعلى الأندلسي، دراسة في احواله السياسية ، (بغداد ، مطبعة اسعد ، ١٩٧٦).

وذلك بسبب نظرتهم إلى هذا العصر من خلال مقارنتهم له بعصر القوة المتمثل بعهدي الإمارة والخلافة الأموية بالأندلس ، وكان ابرز أولئك المؤرخين ابن حيان[1] الذي يصف حكام دويلات الطوائف بانهم " أمراء الفرقة الهمل ، الذين هم منهم ما بين فشل ووكلٍ" ، كما يصف ابن الخطيب[2] حاكمي سرقسطة وطليطلة (Toledo) سليمان بن هود ويحيى بن ذي النون بانهما " المشؤومان على المسلمين" ، ويبالغ احد المؤرخين المحدثين[3] ، في وصفهم فيقول بانهم "صنائع اليد الأجنبية التي كانت تحركها من الخلف أو تدفعها للانفصال".

لذلك اتجه البحث إلى محاولة دراسة هذا العصر دراسة علمية منصفة ، وذلك بالتركيز على نموذج من ابرز نماذج دويلات الطوائف ، ألا أنها دويلة سرقسطة في عصر بني هود ، لأنها كانت تقع في مجابهة العدو ، وفي صراع مستمر معه على المستويات السياسية والعسكرية والفكرية كافة.

ولعل هذه الدراسة تكشف لنا عن قيمة تاريخية تسهم في اضاءة التضامن والوحدة العربية في عص رنا الحديث ، محاولة اعطاء صورة أكثر اشراقا وتفاؤلاً لتاريخنا العربي بالأندلس في عصر الطوائف ، وذلك لبعض اوجه التشابه بين هذا العصر الذي ندرسه وعصرنا العربي الحالي ، من نواحي عديدة ، ابرزها ، اشتراكهما بمعاناة التجزئة السياسية وما يلحق ذلك من ضعف عسكري واقتصادي كذلك اشتراكهما في مجابهة التحديات الخارجية المعادية ، التي تهدف إلى ازالة الوجود العربي الإسلامي كيانا وحضارة.

ولقد وقفت سرقسطة ، التي هي بوابة الأندلس الشمالية ، حاجزاً منيعاً أمام تلك التحديات ، وان اتبعت في بعض الأحيان سياسة مرنة أوصلتها إلى دفع الاتاوة

---

(1) انظر روايته عند ابن بسام ، الذخيرة ، ق٣، م١ ، ج٥، ص١٨٠.

(2) ابن الخطيب، أعمال الإعلام ،ص١٧٨.

(3) التواتي، ماساة انهيار الوجود العربي بالأندلس، ص٢٠٩.

للعدو ، الا أنها في أحايين كثيرة نازلت العدو حربيا ، وارغمته على التقهقر في مواقع عديدة منها ، على سبيل المثال ، استرجاع مدينة بربشتر (Barbastro) عام (٤٥٧ هـ / ١٠٦٥م) من قبضة العدو الصليبي ، وكذلك ثبات أهل سرقسطة بقيادة احمد المستعين بن هود أمام الحصار الذي فرضه عليهم الجيش القشتالي بقيادة الفونسو السادس (Alfonso VI) عام (٤٧٩ هـ/ ١٠٨٦م) على الرغم من الوعود المغرية التي قدمها العدو لاهل المدينة بغية استسلامهم ، وكذلك مجابهتهم البطولية في معركة وشقة (Hyesca) (٤١٩ هـ/ ١٠٩٥م) ومعركة بلتيرة (Valtierra) عام (٥٠٣ هـ/ ١١١٠م) التي سقط فيها حاكم سرقسطة احمد المستعين بن هود شهيدا ، وهو يقاتل قتال الابطال.

وعلى المستوى الحضاري ، قاومت سرقسطة الأسلوب التبشيري الذي حاول استخدامه دير كلوني (Cluny) الفرنسي الصليبي ، بغية توريط حاكم سرقسطة احمد المقتدر بن هود ، والعمل على استمالته لاعتناق النصرانية ، مستغلة التسامح الديني الشائع في سرقسطة والأندلس.

وكان الامير احمد المقتدر بالله قد كلف احد الفقهاء الكبار في سرقسطة ، ابو الوليد الباجي ليقوم بالرد على الرسائل التبشيرية العديدة التي بعث بها دير كلوني الفرنسي ، وقد استطاع الفقيه الباجي ان يدحض كل المعتقدات والافكار التي وردت في تلك الرسائل باسلوب علمي رصين ، دعا من خلاله رهبان الدير إلى اعتناق الإسلام.

ومن الله التوفيق

الدكتور عبدالوهاب خليل الدباغ

العراق — الموصل



الفصل الأول

الظهور السياسي لبني هود في سرقسطة

أ- سرقسطة قبل عهد بني هود

ب- أصل بني هود

ج- استيلاء بني هود على السلطة

د- الصراع الداخلي وأثره على سقوط الأسرة

سرقسطة قبل عصر بني هود

سرقسطة مدينة واسعة ، ذات موقع منعزل ونائي في شمال شرق الأندلس ، تحدها الممالك الاسبانية من عدة جهات ، قطالونية (Catalonia) من الشرق ، ونافار (Navaera) من الشمال الغربي ، وقشتالة من الجنوب والغرب[1].

ويعد نهر إبره (Ebro) الذي يجري في جهتها الشمالية من الموارد المائية الرئيسة ، وهو نهر كبير تتجمع منابعه الآتية من مرتفعات جبال البرتات (Pyrenees) ومرتفعات قلعة ايوب (Calatayub) وقلعة قلهره (Calahorra) وغيرها من المرتفعات فوق مدينة تطيلة ثم يجري شرقاً نحو سرقسطة[2] ، ويبلغ طوله مئتين وأربعة أميال(٢٠٤) إي نحو ثلاثمائة (٣٠٠) كم ، ويصب في البحر المتوسط عند مدينة طرطوشة[3].

ويشكل حوض نهر ابرو منخفضاً تفصله عن ساحل البحر المتوسط تلال قطالونيا وقد نتج عن هذا ان أصبح مناخ سرقسطة يتميز بشيء من المناخ القارئ (الجاف)[4].

---

(1) حسين مؤنس، الثغر الأعلى، ص١٠٠ ، عنان، دول الطوائف، ص٢٥٤.

(2) الادريسي، نزهة المشتاق، ص١٩٠؛ وانظر: السامرائي، الثغر الأعلى، ص٤٤ـ ٤٥ـ٤٦ـ٤٧.

(3) La Description de L' Espagne d' Ahmad Al - Aazi, p103

وانظر: مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين، ص٦٢.

(4) محمد محمود الصياد ، مدخل للجغرافية، ص٢٠- ٢٢.

ويعود بناء هذه المدينة إلى أيام القيصر اوغسطوس (Augustus) وذلك عام (٧٢٨ ق. م) ومن اسمه اشتق اسمها[١] وتسمى ايضاً بالمدينة البيضاء[٢].

افتتح المسلمون سرقسطة عام (٩٥هـ/ ٧١٣م) على يد موسى بن نصير ، وذلك بعد ان تم له وللقائد طارق بن زياد افتتاح مدن شبه الجزيرة الأيبيرية الرئيسة ، مثل قرطبة واشبيلية وجيان (Jaen) وطليطلة في الوسط ، حيث تقدما من الأخيرة إلى الشمال الشرقي نحو مدينة سرقسطة[٣]. وكان لسقوط هذه المدن الجنوبية والعاصمة طليطلة الأثر الكبير في إضعاف المناطق الشمالية[٤] ، حيث لم تكد جيوش المسلمين تصل إلى سرقسطة حتى بادر اسقفها بنسيو (Benico) وأتباعه الرهبان بالهروب حاملين ذخائرهم الموروثة ، لكن موسى أعطاهم الأمان فرجعوا عن قرارهم وتم فتح المدينة[٥] ، وأصبحت سرقسطة فيما بعد تشكل جبهة عسكرية متقدمة تحمي الأندلس من جهتها الشمالية ، وتكون في الوقت نفسه منطلقاً لحركات الجهاد في أراضي الممالك الاسبانية وفرنسة عبر جبال البرتات[٦] ، منذ بداية عصر الولاة وحتى نهاية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي[٧].

---

(1) العذري، نصوص عن الاندلس، ص٢١؛ وانظر: ليفي بروفنسال، مادة، سرقسطة، ص٣٦٧.

(2) سميت بذلك لكثرة جصها وجيرها، أو لان اسوارها من حجر الرخام الابيض مما اكسبها بياضاً مشرقاً؛ انظر: الادريسي، نزهة المشتاق، ص١٩٠.

(3) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٩- ١٦.

(4)عبد المنعم ماجد، العلاقات بين الشرق والغرب، ص٤٠.

(5) حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص١٠٣.

(6) جبال البرتات، وهي حاجزة بين الأندلس وفرنسة، تبدأ من سواحل البحر المتوسط عند مدينة طرطوشة شرقاً وتنتهي بسواحل المحيط الاطلسي غرباً؛ انظر: البكري، المسالك والممالك، ص٨٥.

(7) العذري، نصوص عن الاندلس، ص٣٧- ٤٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٦- ٢٧- ٢٧- ١٤٣- ١٨٦؛ ج٣، ص٣- ٤- ١١- ١٢- ١٣؛ المقرى، نفح الطيب، مج١، ص٢٧٧، مج٣، ص١٥.

وبسبب الدور العسكري الخطير لسرقسطة ، فقد عُدَّتْ قاعدة للثغر الأعلى ، الذي يمثل مع الثغر الأوسط ، والأدنى وقواعدهما ، طليطلة وبطليوس (Badajoz) سياجاً واقياً يبدأ من طرطوشة على ساحل البحر المتوسط ، وينتهي عند مدينة لشبونة (Lisbon) الواقعة على ساحل المحيط الأطلسي[1] ، وبقدر ما كان للثغر الأعلى دوره الايجابي في حركة الجهاد ضد الأعداء ، فقد شكل بؤرة للتمرد والعصيان اقلق السلطة المركزية في قرطبة واثر سلبياً على القوة العسكرية للمسلمين أثناء عصر الولاة ، وكذلك خلال بقية العهود الأخرى بعد قيام الدولة الأموية في الأندلس[2].

وقد كانت قيادة التمرد في الثغر الأعلى مركزه في الاسر المتنفذة ، وبالاخص بني قسي من المولدين[3] ، وللحد من هذه التمردات[4] ، ولاحداث التوازن بين مختلف العناصر التي يتالف منها المجتمع ، حتى لا تستاثر إحدى هذه القوى بالسلطة وتثور على العاصمة قرطبة[5] ، شرع الامير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ/ ٨٥٢-٨٨٦م) ، بالاعتماد على العرب من عشيرة بني تجيب[6] ، حيث ولاهم على سرقسطة واقاليمها[7] ، وخصص لكل فرد منهم مئة دينار عند كل حملة[8].

---

(1) البكري، المسالك والممالك، ص٩٤- ٩٥، هامش رقم (٤)، مؤنس، فجر الاندلس، ص٥٦٧، السامرائي، الثغر الأعلى، ص٣٩- ٤٠ - ٤١- ٤٢- ٤٣- ٤٤.

(2) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس، ص ٥٦، ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص٥٠٢، العذري، نصوص عن الأندلس، ص٢٥- ٤٨.

(3) المولدون، وهم ابناء الجيل الذي نشأ نتيجة مصاهرة الفاتحين من العرب والقبائل المغربية بالنساء الاسبانيات من اهل البلاد ، انظر: السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين واثارهم حتى سقوط الخلافة بقرطبة (بيروت، ١٩٦٢)، ص١٢٨ - ١٢٩.

(4) السامرائي، الثغر الأعلى، ص٢١٣.

(5) احمد، القبائل العربية في الأندلس، ص٢٨٦.

(6) بنو تجيب: عشيرة عربية قحطانية استقرت في سرقسطة منذ اول الفتح، انظر: ابن حزم، الجمهرة، ص٤٢٩- ٤٣٠؛ ابن خلدون، ج٢، ص٢٥٧.

(7) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندس، ص١٣٠.

(8) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٤١.

واستمر حكم التجيبيين تابعاً للحكومة المركزية. وعندما تدهورت اوضاع الأندلس بعد مقتل عبد الرحمن بن محمد بن ابي عامر الملقب بـ (شنجول) عام (٣٩٩هـ - ١٠٠٩) ، وبدء الفتنة في الأندلس[1] ، التي سبقت عصر الطوائف[2] ، استقل التجيبيون بسرقسطة ومدنها وتلقب امراؤهم بالالقاب السلطانية مثل المظفر والمنصور ، وذلك منذ عام (٤٠٨هـ/ ١٠٢٣م)[3] ، كما استقل بقية المتغلبين على مدن الأندلس الأخرى ، وشاعت الفوضى السياسة[4].

أصل بني هود

تتفق معظم المصادر التاريخية[5] على أن أصل بني هود يعود إلى جذام. وهي عشيرة عربية قحطانية يمنية[6] ، لعبت دوراً سياسياً وثقافياً كبيراً عبر التاريخ الأندلسي ، فقد ظهر منهم قادة بارزون وولاء حكموا الأندلس من امثال ثوابة ابن سلامة الجذامي ، قائد جند فلسطين ، الذي استطاع السيطرة على البلاد بعد صراع مع الوالي ابي الخطار بن ضرار الكلبي ، وحكم البلاد مدة سنتين منذ عام (١٢٧ -

---

(1) ابن حزم، ج٢ ، ص ١٩٦ وما بعدها.

(2) بدأ هذا العصر في الأندلس عام (٤٢٢هـ / ١٠٣٠م) وذلك بعد خلع بني امية جميعاً، حيث مشى البريد في الأسواق والأحياء بقرطبة ينادي بان لا يبقى احد منهم فيها؛ انظر: بن عذارى، البيان المغرب، ج٣، ص١٥٢؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص١٢٨- ١٢٩.

(3) ابن عذارى، البيان المغرب، ج٣، ص١٧٥؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٦٣.

(4) ابن بلقين، التبيان، ص١٨- ١٩؛ ابن حزم، الرسائل، رسالة، نقط العروس في تواريخ الخلفاء، ج٢، ص٩٧- ٩٨؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٦٨؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج٢، ص٢٤٤؛ وانظر: ص٢٥- ٢٦.

(5) ابن بسام، الذخيرة، ق١ مج١، ص١٨٦، ابن الابار، الحلة، السيراء، ج٢، ص٢٤٥؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج٣، ص١٧٩؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٦٣.

(6) ابن حزم، الجمهرة، ص٤٢٠- ٤٢١؛ ابن خلدون، العبر، ج٢، ص٢٥٦ - ٢٥٧.

١٢٩ هـ / ٧٤٥ -٧٤٧م) ومنهم يحيى بن حريث عامل كورة رية[1] ، وثعلبة بن عبيد الجذامي واعقابه وهم "بقية عالية كانت فيهم رياسة وتفرع ، وولاتهم معروفة " [2] وقد ترجم ابن الفرضي[3] ، وابن الابار[4] ، وابن عبد الملك المراكشي[5] ، للعديد من الفقهاء والرواة والادباء الجذاميين.

أما استقرارهم في الأندلس فقد كان في مدينة شذونة (Sedona) والجزيرة الخضراء (Algociras) وتدمير (Tudmir) واشبيلية ، وقلعة رباح[6] ، (Calatrava) ولم يذكر ابن حزم في الجمهرة منطقة الثغر الأعلى ضمن مناطق استقرار جذام ، علماً انه كان معاصراً لحكم بني هود الجذاميين في سرقسطة ، الذي دام نحو أكثر من سبعين سنة.

ويشير العذرى[7] ، إلى إقليم من أقاليم مدينة البيرة (Elvira) الواقعة جنوب الأندلس ، المسمى بـ (تيبل بني هود) وهو معروف بغناه وازدهار الزراعي ، الامر الذي يدل على استقرار مجموعة كبيرة منهم في هذا المكان ، ومن المحتمل ان أفراد من هذه الاسرة انتقلوا إلى الشمال الشرقي من هذا المكان أو من بقية المناطق التي أشار اليها ابن حزم واستقروا في الثغر الأعلى في اواخر عصر الخلافة الأموية في الأندلس ، ولكن المصادر التاريخية ، لم تتطرق إلى ذلك ، وكل ما ذكرته في مجال أصلهم ان

---

(1) مجهول، اخبار مجموعة، ص٥٦- ٥٧؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج٢، ص٣٤- ٣٥؛ وانظر: دوزى، تاريخ مسلمي اسبانيا، ص١٧١.

(2) ابن حزم، الجمهرة، ص٤٢١.

(3) تاريخ علماء الاندلس، ج١، ص٦٨- ٧٠- ١٤٨- ٢٠٢- ٢٤٢- ٤١٤.

(4) التكملة لكتاب الصلة، ج١، ص٢١٥، ص٢٤٦.

(5) الذيل والتكملة، السفر الأول، ق١- ٢، ص٢٢- ٦٦ - ١٠٠- ١١٥، ٢٠٩ - ٢٤١- ٢٤١- ٢٥٨- ٢٦٦- ٤٠٦—٥٢١ - ٥٦٣.

(6) ابن حزم، الجمهرة، ص٤٢١؛ المقرى، نفح الطيب، مج١، ص٢٩٦.

(7) نصوص عن الأندلس، ص٩٠؛ وانظر: طه، الفتح والاستقرار، ص٢٢٢.

هودا الذي يعد علماً على بنيه ودولتهم كان من الداخلين إلى الأندلس[1] ، وقد اختلفت الروايات بشأن جدهم الأعلى بعد ظهور الإسلام ، أهو سالم مولى أبي حذيفة[2] ام هو روح بن زنباع[3] ، ويبدو ان الثاني هو الأرجح لان سالماً كان قد استشهد يوم اليمامة[4] ، ولا عقب له[5].

---

(1) ابن خلدون، العبر، ج٤ ، ص١٣٦؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج٥ ، ص٢٥٥.

(2) وهو من فضلاء صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ومن المهاجرين العسقلاني، الاصابة؛ ج٣، ص١٣.

(3) يتصل نسبه بسبأ ، ويكنى بابي زرعة ، ولأبيه صحبة مع الرسول (ص)، وهو من اقرب واخص الناس بالخليفة الاموي عبد الملك بن مروان، انساب الاشراف، ج٥ ، ص٣٠٤.

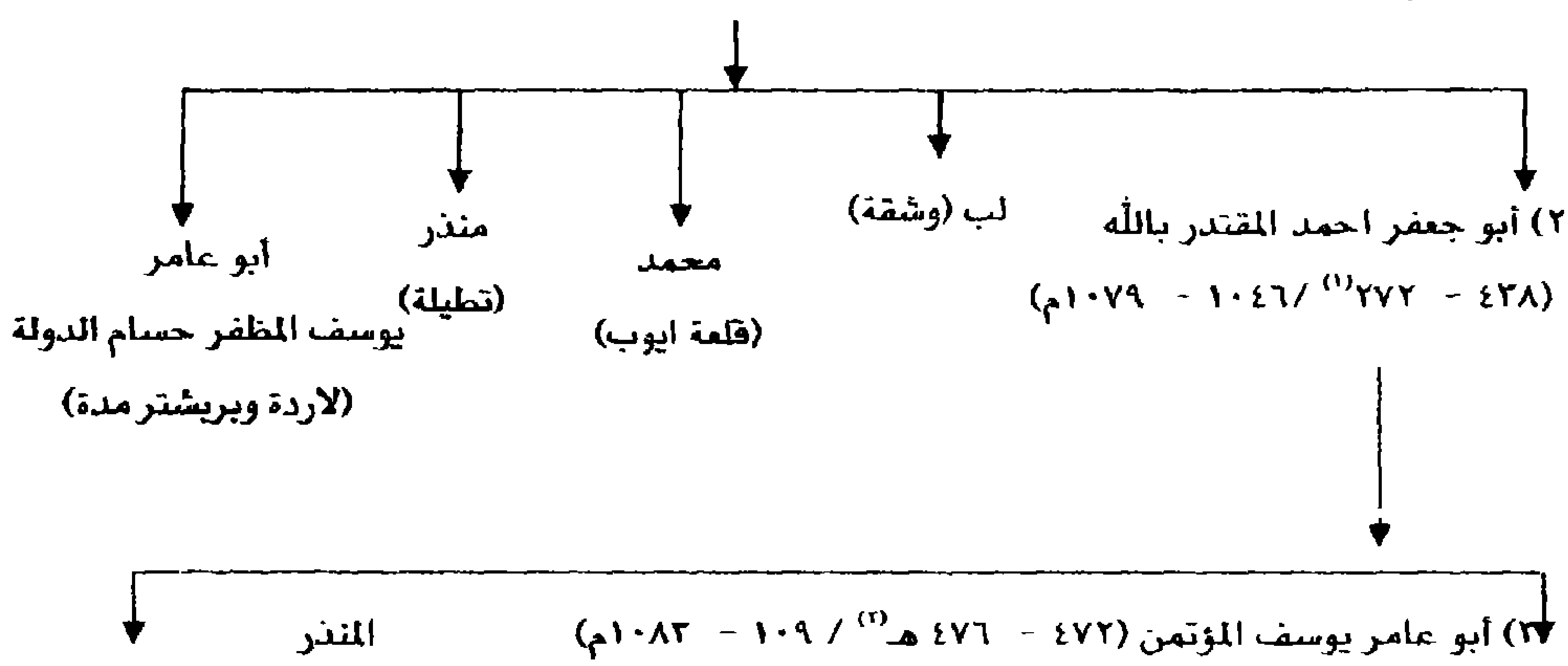
(4) يوم اليمامة: معركة وقعت أيام الخليفة أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) ضد المرتدين، واستشهد فيها عدد كبير من المسلمين؛ انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٢٨٩-٢٩٠.

(5) الدينوري، ص١١٩.

قائمة نسب بني هود

حكام سرقسطة

١) أبو أيوب سليمان بن محمد بن هود الجذامي المستعين بالله (٤٣٠هـ- ٤٣٨ هـ/ ١٠٣٨ - ١٠٤٦م)



(طرطوشة، دانية،
الجزء الشرقي من الإمارة)

٤) أبو جعفر احمد المستعين بالله (٤٧٦ – ٥٠٣ هـ/ ١٠٨٣ - ١١٠٩م)
(حكم الإمارة كلها إلى حين استشهاده، عام (٥٠٣ هـ/ ١١٠٩م)

---

(1) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٣٥٨- ٢٥٩.

(2) تشركوا، مجاهد العامري، ص٦٨.

↓

٥) أبو مروان عبد الملك عماد الدولة (انتقل إلى روطة عام ٥٠٣ هـ- ١١٠٩م) وتوفي عام (٥٢٤هـ- ١١٢٩م)

↓

٦) أبو جعفر احمد سيف الدولة المستنصر بالله قتل عام (٥٤٠ هـ/ ١١٤٥م)

↓

محمد بن يوسف بن هود المتوكل ادعى انه من ذرية بني هود، ظهر في مدينة مرسية سنة (٦٢٥هـ/ ١١٢٧م) وتوفي عام (٦٣٥ هـ/ ١٢٣٧ م)[١].

جدول نسب حكام اسبانية النصرانية في الشمال في عصر الطوائف)[٢]

شانْجُهْ غرسيه (الثاني أبَركُه) (٣٥٩ – ٣٨٥ هـ/ ٩٧٠ – ٩٩٤م)

↓

غرسيه شانجه (الثاني)

(٣٨٥ – ٣٩١ هـ / ٩٩٤ - ١٠٠٠م)

↓

شانجه غرسيه (الثالث، الكبير)

(٣٩١ – ٤٦٢ هـ/ ١٠٠٠ – ١٠٣٥م)

(تزوج البيرة اخت غرسيه حاكم قشتالة)

↓

غرسيه (حكم نبارة) | ردمير (حكم اراغون) | غنصالو (اواسط البرتات) اغتيل

---

(1) ابن الخطيب، الاحاطة في أخبار غرناطة، ج٢، ص١٢٨ - ١٣٢.

(2) الحجي، التاريخ الأندلس، ص٢٢٨ - ٢٢٩.

١) فرناندو الأول ، اكبرهم

تولى حكم قشتالة (٤٢٦ – ٤٥٨ هـ/ ١٠٣٥ – ١٠٦٥م)

٢) شانجه (الثاني اكبرهم)

غرسيه (أصغرهم)

٣) الفنش (الفونسو السادس (اوسطهم))

حكم جليقية والبُرتُغال

٤) أُرَّكه (١) الكونت رَمُند البرْجُوني

حكمت قشتالة وليون (٥٢٠ هـ/ ١١٢٩م)

(٢) الفنش (الأول، المحارب)

(٥٢٨ هـ/ ١١٣٤م)

٥) الفنش السابع (السَّليطين) ابن الكونت رَمُند البرجوني (حكم جلّيقيَة تحت اشراف امه، ثم كذلك قشتالة وليون وغيرهما (٥٥٢هـ/ ١١٥٧م)

استيلاء بني هود على السلطة

تتفق معظم المصادر[1] ، على ان منذر بن يحيى التجيبي كان أول من استقل بسرقسطة اميراً عليها من بني تجيب بعد انهيار الخلافة الأموية وظهور ما اصطلح عليه بعصر ملوك الطوائف ، وتلقب بالمنصور ؛ وكان قبل ذلك جندي من عامة الجيش ، ترقى إلى منصب قائد ، حيث تميزت حياته بالنشاط السياسي والعسكري في عهد الدولة العامرية[2] ، لكن هذه المصادر تعود فتختلف حول اسم ولي عهده ، الذي اغتاله ابن عمه عبدالله بن حكم ، وكان من نتائجه استيلاء سليمان بن هود على السلطة في سرقسطة ، اكان اسمه يحيى ام منذراً ؟ فيشار إليه باسم منذر تارة ، واسم يحيى تارة أخرى.

فابن بسام[3] ، لايذكر عن يحيى بن المنذر شيئاً ، لكنه يركز على أخبار ولده ، المنذر الأول ، الامير المستقل في سرقسطة في عصر الطوائف ، ويشرح مواقفه السياسية والعسكرية من الخليفة هشام المخلوع ، ومواقفه السليمة إزاء الممالك الاسبانية ، ثم ينتقل مباشرة إلى مقتل المنذر بن يحيى بن المنذر (الحفيد) دون ان يميز بين المنذرين ، وهذا ما احدث الوهم لدى المستشرق الهولندي رينهارت دوزي[4]

---

(1) على سبيل المثال؛ انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق١، مج١، ج١، ص١٨٠، ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٤٣٥؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج٣، ص١٧٥ - ١٧٦؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص١٩٦؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٦٣.

(2) نسبة إلى المنصور محمد بن أبي عامر، الذي كان حاجباً للخليفة هشام المؤيد، وقد استطاع بدهائه السياسي ان يسيطر على مقاليد السلطة، واصبح الحاكم الأول، وتولى بعده ابنيه عبد الملك، ثم عبد الرحمن، الملقب بـ (شنجول)، الذي قتل عام (٣٩٩هـ /١٠٠٨م) انظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ص١٧، ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص٥٩ وما بعدها.

(3) الذخيرة، ق١، مج ١، ج١، ص ١٨٠، وما بعدها، برواية ابن حيان.

(4))1913 , Spanish Islam, AHistory of the Moslem in spain, (London p.740. vol 2,.

(Reinhart Dozy) الذي اعتقد جازماً بأنه لم يكن لأسرة بني تجيب سوى حاكم واحد لسرقسطة هو المنذر وانه هو المقتول عام (٤٣١هـ / ١٠٣٩م) وحصل وهم اخر بسبب ذلك ايضاً، لدى المستشرقة الايطالية، كليليا سارنللي تشركوا[1] (Gerkica Klylya Sarnely) التي اعتقدت بان صاحب الذخيرة قد اخطأ حينما ذكر ان المقتول هو المنذر الأول المتوفي عام (٤١٤هـ / ١٠٢٣م) بينما الصحيح ان المقتول هو المنذر الثاني الذي اغتيل عام (٤٣٠هـ / ١٠٣٨م).

أما ابن خلدون[2] فنلاحظ انه يعطي للحاكم الاخير لبني تجيب اسم يحيى المظفر وانه كان ولي العهد للمنذر (المنصور) وانه هو الذي وقع عليه حادث الاغتيال عام (٤٣١هـ/ ١٠٣٩) ويتجاهل تماماً إي ذكر للمنذر الثاني (الحفيد).

ويورد ابن عذارى[3] الاسمين معاً في أثناء حديثة عن مصرع الحاكم التجيبي الأخير، ويقع في التناقض نفسه ابن الخطيب[4]، ايضاً حيث يذكر ان ثورة أهل سرقسطة التي جاءت باسرة بني هود كانت ضد يحيى بن منذر، ثم يعود ليذكر اسم منذر حينما ينقل رواية ابن حيان التي اعتمدها ابن بسام وابن عذارى، التي تنص على انه في سنة ٤٣١هـ قتل منذر بن يحيى، قتله رجل من بني عمه يعرف بعبد الله بن حكم. وبادر ابن هود فتملك سرقسطة سنة ٤٣١هـ[5].

ولكن ابن الخطيب ينتبه إلى هذا الاشكال ويحاول اصلاحه، فينتقد رواية ابن عذارى التي تنص على ان حاكم بني تجيب الأخير هو يحيى بن منذر يحيى التجيبي حيث يقول: " فان كان ما ذكره صحيحاً فيظهر ان منذر بن يحيى ولي بعده ولد له

---

(1) مجاهد العامري، ص٨٠ هامش رقم(٣)

(2) العبر، ج٤، ص١٦٣.

(3) البيان المغرب، ج٣، ص١٧٨ – ٢٢١.

(4) أعمال الإعلام، ص١٧٠ - ١٩٦ - ١٩٧.

(5) اعمال الاعلام، ص١٩٦، برواية ابن حيان؛ وانظر: الذخيرة، ق١، مج١، ج١، ص١٨٥، البيان المغرب، ج٣، ص١٧٨.

أو اخ سمي لابيه فجرت عليه الحادثة الشبيهة بالحادثة عليه ، والا فهو وهم من المؤرخ والمشهور في ثوار الاندلس وملوك الطوائف انما هو منذر بن يحيى "[1].

وتعقيباً على ملاحظات ابن الخطيب وتاييداً لها ، فان الذي اوقع المؤرخين بهذا الاشكال انما هو على ما يبدو التشابه في اسماء نسب حكام بني تجيب وقد اورد ابن حزم[2] ، الاسم بكامله حيث يقول: "المنذر بن يحيى بن منذر بن يحيى بن مطرف بن عبد العزيز.. المقتول غدراً في مجلسه.." وأدرك ابن الابار[3] احتمال الوهم في الأسماء فذكر الاسم بكامله ايضاً وختمه بكلمة (الأخير) حين ذكره لمقتل المنذر ، حيث يقول : "مقتل منذر بن يحيى بن منذر ابن يحيى التجيبي الأخير ، فتك به ابن عم له..." ، وقد يكون طول المدة التي حكم بها المظفر يحيى (٤١٢-٤٢٧ هـ/ ١٠٢١ -١٠٣٥م) قياساً إلى حكم ابنه منذر الذي دام نحو عامين تقريباً (٤٢٧-٤٣٠هـ/ ١٠٣٥-١٠٣٨ م) حسب رواية العذرى[4] وخطورة الاحداث التي مرت بها مدة حكمه هما اللذان اوقعا ابن خلدون وغيره في وهم تجاهل الابن ، وبالمقابل كشفت عن تقصير المؤرخين الاخرين في حق المظفر يحيى ، حيث لم يعطوه حقه بما يتناسب ومدة حكمه واهميتها ، ولم يذكروا المعلومات الكافية عنه ، وكان ذكرهم له لا يتعدى السطر الواحد وذلك من خلال بحثهم في مسالة مقتل ابن المنذر الاخير[5].

والتبس على بعض الباحثين في التاريخ الأندلسي من المحدثين[6] ، حينما

---

(1) ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص٢٠٠- ٢٠١.

(2) الجمهرة، ص٤٣١.

(3) الحلة السيراء، ج٢، ص٢٤٦.

(4) نصوص على الاندلس، ص٤٨.

(5) انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق١، مج١، ج١، ص١٨٦، ابن عذارى، البيان المغرب، ج٣، ص١٧٨.

(6) علي سبيل المثال: انظر: مؤنس، الثغر الاعلى، ص٩٨- ٩٩؛ عنان دول الطوائف، ص٢٥٨-٢٥٩؛ تشركوا، مجاهد العامري، ص٨٠.

اعتقدوا العكس مما ذكره العذرى[1] حول المدة الزمنية لحكم يحيى وابنه منذر ، حيث قالوا ان مدة حكم يحيى كانت بحدود ثلاث إلى خمس سنوات تقريباً ، وان مدة حكم ابنه المنذر كانت بحدود عشر إلى ثلاث عشرة سنة ، ومما يؤيد رواية العذرى ان المصادر الاولية التي تتحدث عن دعوة ابن عباد امير اشبيلية لملوك الطوائف في الدخول إلى طاعة الخليفة المشبه بهشام المؤيد تذكر ذلك ضمن حوادث عام (٤٢٦هـ / ١٠٣٤م) تقريباً وان هذه المصادر تذكر ان يحيى والد المنذر المقتول كان من بين الرافضين لطاعته[2] وهذا معناه انه كان حياً في السنة المذكورة وعلى هذا فابنه الذي تحدثت عنه هذه المصادر واطالت الحديث عن مقتله لم يحكم سوى سنتين تقريباً.

اذن فان الحاكم الأخير لبني تجيب الذي وقع عليه حادث الاغتيال هو منذر بن يحيى بن منذر التجيبي ، وان قاتله هو ابن عمه عبدالله بن حكم ابن عبد الرحمن التجيبي وقد ايدت ذلك المصادر التاريخية المعاصرة كرواية ابن حزم [3] والعذرى[4].

ولكن لماذا اغتيل المنذر الأخير بن يحيى ؟ وما الظروف التي هيأت لذلك ؟ وهل كان للقاتل اهداف سياسة عامة؟ أم انها مسالة شخصية بحتة؟ وما دور سليمان بن محمد بن هود في عملية الاغتيال؟ وهو المستفيد الأول حيث اضحى حاكماً للثغر الأعلى بعد ذلك بعدة أيام!!

في محاولة للإجابة عن هذه التساؤلات نقول ، ان بني تجيب كانوا يلقون الدعم

---

(1) نصوص عن الاندلس، ص٤٨.

(2) يقول ابن حزم: ظهر رجل حصري بعد اثنتين وعشرين سنة من موت هشام ابن الحكم المؤيد ، وادعى انه هو ، فبويع له ، وخطب له على جميع منابر الاندلس في اوقات شتى وسفكت دماء وتصادمت الجيوش في امره، الرسائل، ج٢ ، رسالة نقط العروس في تواريخ الخلفاء، ص٩٧؛ وانظر: ابن بسام الذخيرة، ق١ ، مج١ ، ج١ ، ص١٨٦؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج٣، ص١٨٧ - ١٩٨- ١٩٩.

(3) الجمهرة، ص٤٢١.

(4) نصوص عن الاندلس، ص٤٨.

المعنوي الشرعي من دولة الخلافة ، ذات المهابة والاحترام في نظر اهل الأندلس[1] وعندما انهارت هذه الخلافة بسقوط الدولة العامرية ، وشاعت الفوضى السياسية وانقسمت البلاد إلى دويلات الصغار[2] ، أعلن المنذر الأول استقلاله أسوة ببقية الأمراء والقادة في باقي مدن الأندلس ، وعندها فقد الوالي التجيبي ذلك الدعم الشرعي على الرغم من انه والحكام الصغر الآخرين في الأندلس أضافوا على أسمائهم القابا سلطانية كالمنصور والمظفر[3].

إلا ان هذه الإضافة لم تستطع ان تملاء ذلك الفراغ الروحي والسياسي في نفوس أهل الأندلس ، الذي أحدثه سقوط الخلافة فأصبحت سرقسطة عرضة للطامحين إلى السلطة ، ممن وجدوا في أنفسهم قدرة الوصول إليها يساعدهم في ذلك قربها من الممالك الاسبانية المعادية وطبيعة منطقتها الجغرافية[4].

وتشير المصادر التاريخية[5] ، إلى اثنين من ضباط الجيش ، وهما سليمان بن محمد بن هود ، وعبد الله بن حكم بن عبدالرحمن التجيبي ، حيث لعب كل منهما دوره في انهاء سلطة بني تجيب في ظروف غامضة ومريبة[6] ، وتوحي هذه المصادر باشتراك المصالح والاهداف بينهما ، لكنها لم تذكر دليلاً صريحاً وقاطعاً على وجود خطة مشتركة بينهما.

كان سليمان بن هود قد دخل مدينة لاردة ، الواقعة شمال شرق مدينة سرقسطة

---

(1) ولي المنذر الأول بتاييد من قبل الخليفة سليمان المستعين عام (٤٠٣هـ- ١٠٠٥م)، المصدر نفسه، ص٤٨.

(2) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٩٧.

(3) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٤٣٥- ٤٣٦؛ ابن خلدون ، العبر، ج٤، ص١٦٣.

(4) بسبب احاطة سرقسطة والثغر الأعلى بسلاسل جبلية ، فقد اكسبتها مناعة طبيعية؛ انظر: السامرائي، الثغر الأعلى، ص٤٧.

(5) ابن بسام، الذخيرة، ق١، مج١، ج١، ص١٨٥- ١٨٦؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج٣، ص٢٢١- ٢٢٢.

(6) التواتي، مأساة انهيار الوجود العربي، ص٢٦١.

بالقوة ، وقتل حاكمها ابا المطرف عبد الرحمن التجيبي واستولى عليها وعلى حصني منتشون (Monzon) وبلغي (Balaguer) [1] ، وذلك في فترة الفتنة التي اعقبت سقوط الدولة العامرية ، ويذكر ابن خلدون[2] ان سليمان بن هود كان مستقلاً بمدينة تطيلة منذ اول الفتنة ، ويشير كل من ابن بسام[3] ، وابن عذارى[4] إلى امتلاك سليمان لتطيلة ولكنه لم يكن مستقلاً بها ، بل تابعاً لامير الثغر الأعلى المنذر الأول ، ويؤيد ذلك رواية ابن حيان التي سمعها من احد وجهاء تطيلة وكان معاصراً لولاية ابن هود على تطيلة حيث يقول: "وعلينا يومئذ من قبله (يعني المنذر الأول) سليمان بن هود صاحبه " [5].

وبعد وقوع الفتنة الشاملة بدأت طموحات ابن هود بالسيطرة على عموم الثغر الأعلى تتأكد فابتدأ بالانفصال عن حكم بني تجيب بمدينة تطيلة — على ما يبدو — ثم سيطر على لاردة وحصونها المجاورة بعد ذلك ، ويظهر من هذا ان بني هود كانوا يشكلون قوة كبيرة في الثغر الأعلى ، حيث اننا لو القينا نظرة إلى خاطرة هذا الثغر ، لوجدنا ان المسافة بين لادرة وتطيلة كبيرة تقدر بنحو (١٧٠) ميلاً تقريباً[6] ، فضلاً عن الطبيعة الجهادية للمنطقة التي تتطلب من بني تجيب حشدها بالرجال والسلاح. كما ان وقوع سرقسطة قاعدة الثغر الأعلى في منتصف المسافة بينهما وبالقرب منهما ، يؤكد تلك القوة وضخامة حجمها.

ولا تشير الروايات التاريخية إلى اية مجابهة عسكرية حصلت بين بني تجيب

---

(1) وهما من الحصون التابعة لمدينة لادرة؛ انظر: العذري، نصوص عن الأندلس، ص٣٩- ٤٠؛ الحموي، معجم البلدان، ص٤٨٨١، مج٥، ص٢٠٧؛ ابن عذاري، البيان للمغرب، ج٣، ص٢٢١، ج٤، ص٥٤؛ ابن الخطيب اعمال الاعلام، ص١٧٠.

(2) العبر، ج٤، ص١٦٣.

(3) الذخيرة، ق١، مج١، ج١، ص١٨٣.

(4) البيان المغرب، ج٣، ص١٧٩.

(5) ابن بسام، الذخيرة، ق١، مج١، ج١، ص١٨٣، (برواية ابن حيان).

(6) انظر: العذري، نصوص عن الأندلس، ص٢٤؛ الادريسي، نزهة المشتاق، ص١٩٠.

حكام سرقسطة وبني هود حكام تطيلة ولاردة ، ولعل هذا يعود إلى تقدير المنذر الثاني لخطورة النتائج المترتبة على مثل هذه المجابهة ، وذلك لوقوع الثغر الأعلى في مواجهة الممالك الاسبانية المعادية ، اولاً ، وللضعف السياسي والعسكري الذي تعانيه الأندلس عموماً ، بسبب غياب الدولة الواحدة والقيادة المركزية ، ثانياً ، هذا فضلاً عن النزاعات التي بدأت تظهر بين دويلات الطوائف المختلفة التي كان يحتمل ان تجعل سرقسطة عرضة لأطماع حكام طليطلة المجاورة وغيرها من دويلات الطوائف الأخرى ، يضاف إلى ذلك ، انزعاج أهل تطيلة من سياسة بني تجيب الاستسلامية إزاء الممالك الاسبانية المعادية وتقديم التسهيلات لهم في الانتقال عبر أراضيها ، حيث يروي ابن بسام[1] في خبر مطول عصيان أهل تطيلة على الامير منذر الأول عندما سهل لحاكم قشتالة شانجة بن غرسية العبور عبر أراضي تطيلة نحو برشلونة (Barcelona) لغرض عقد المصاهرة مع حاكمها ريموند (Raimund) وكيف ثار الأهالي وهجموا على جنود الأعداء.

ولا تتوفر معلومات عن عبدالله بن حكم ، سوى كيفية اغتياله للحاكم الأخير لبني تجيب ، حيث يروي ابن بسام[2] وابن عذارى[3] وابن الخطيب[4] ، نقلاً عن ابن حيان المؤرخ المعاصر للحدث ، ان هذا الرجل استطاع دخول قصر الإمارة على حين غفلة ، أو بحجة السلام على الامير فوجده كما نقرأ في النصوص الآتي:

" في قـــرارة مجلـــسه بـــين غلمانـــه واهلـــه وتحـــت اغلاقـــه

(1) الذخيرة، ق١ ، مج١ ، ج١ ، ص١٨٣- ١٨٤.

(2) المصدر نفسه، ص١٨٦- ١٨٧؛ وانظر: ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢ ، ص٢٤٦.

(3) البيان المغرب، ج٣، ص١٨٧- ١٧٩- ٢٢٢.

(4) اعمال الاعلام، ص١٩٦- ١٩٧؛ وانظر: ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب، ج٢ ، ص٤٣٦؛ ولقد وهم محمد عبدالله عنان حين قال: ان ابن الخطيب لم يذكر واقعة مقتل الامير منذر؛ انظر: دول الطوائف، ص٢٦٠.

وبينه وبين الباب الاقصى من قصره مالا يحصى من حجابه وقهارمته ، فلم يفكر في شيء من ذلك، وحمل نفسه على التصميم فيه، وهو عليها ج الموت دونه، فلما تم له ذلك لم يكن في الخصيان العبدي الذين حضروا مجلس منذر ساعتئذ فضل للدفاع عنه والوثوب بابن حكم، على كثرتهم وتفرده وسطهم، وانهم لم يزيدوا على الهرب قدامه فجاء بفتكةٍ اسقطت كل من فتك في الإسلام قبله... فطار الرجال على وجوههم فزعاً ولم يكن فيهم من ياخذ على يده، وقام بينهم كالاسد الوَرْدِ فحز رأس الفتى منذر للوقت واخرجه إلى الناس، فهمتهم أنفسهم وابلسوا ولم ينطق منهم احد بكلمة" [1]

ان هذا التصوير الدقيق لرواية ابن حيان عن اجواء الاغتيال داخل القصر وخارجه يعطي الحق للباحث في وصف ابن حكم بـ (التهور) كما اشار ابن سعيد[2] ، الذي يبدو انه قد قرأ النص وان لم يذكره في كتابه ، ولكن قراءة ثانية

---

(1) ابن بسام الذخيرة، ق١ ، مج١، ج١ ، ص١٨٧ ، (برواية ابن حيان).

(2) المغرب في حلى المغرب، ج٢ ، ص٤٣٦.

للنص مع الاخذ بنظر الاعتبار ان الجاني هو من الرجال المتميزين في قيادة الجيش التجيبي[1] ، وتوحي للباحث ان العملية لم تكن عشوائية بل كان مخططاً لها ، وان هناك من يقف وراءها داخل القصر وخارجه ، وان دوافع قوية بمستوى العنف الذي مارسه القاتل ، ادت إلى ما ادت إليه ، ويمكن تقسيمها إلى ما ياتي:

اولاً : الدوافع النفسية:

كان ابن حكم كارهاً وحاسداً ومحتقراً لابن عمه المنذر[2] ، ولعل السبب في ذلك يعود إلى صغر سن الأخير حين توليه منصب الإمارة ، حيث لم يكن يتجاوز التاسعة عشرة ، زيادة على ان امه كانت ابنة حاكم مشهور ، هو عبدالرحمن ذو النون واخوها المامون يحيى بن ذي النون امير طليطلة[3] ، ولعل هذا النسب قد اخاف بني عمه من اطماع بني ذنون ، خؤولته ومن احتمال تقديمه تسهيلات تمكنهم من السيطرة على سرقسطة ، أو على الاقل التدخل في شؤونها فيما بعد ، ولهذا تواطؤا على قتله.

ثانياً : الدوافع السياسية:

وتتمثل في المبرر الذي اعلنه القاتل بنفسه من فوق شرفة القصر ، حين رفع بيده عصا محمولاً عليها راس المنذر وهو ينادي: " هذا جزاء من عصى امير المؤمنين هشاماً ودفع حقه ، يريد بذلك الرجل الذي كان يدعى له يومئذ باشبيلية"[4] ، ثم ارسل باستدعاء قاضي البلد ومشيخته وطلب منهم تهدئة الوضع الهائج حول قصر

---

(1) ابن بسام ، الذخيرة ، ق١ ، مج١ ، ج١ ، ص١٨٥؛ ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٣ ، ص١٧٨.

(2) ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ، ج٢ ، ص٤٣٦.

(3) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٣ ، ص٢٢١- ٢٢٢.

(4) ابن بسام ، الذخيرة ، ق١ ، مج١ ، ج١ ، ص١٨٦؛ ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٣ ، ص١٧٨.

الإمارة ، ووضح لهم اهدافه في اصلاح الامور وتقوية سلطة البلاد ، ورشح لحكم سرقسطة سليمان بن محمد بن هود الجذامي[1].

وتواجهنا هنا نقطتان مهمتان ، الأولى هي: علاقة عبدالله بن حكم بمسالة الخلافة ، ولماذا دعا إلى معاقبة عصاة الخليفة؟ والثانية هي: علاقته بسليمان بن هود الجذامي ، ولماذا اختاره ليكون الحاكم الجديد للثغر الأعلى دون نفسه وغيره؟

ان نظرة متفحصة للوضع السياسي للاندلس وللرأي العام للمسلمين فيها منذ بدء عصر الطوائف وحتى منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي تدل بوضوح على خطورة (مؤسسة الخلافة) ودرجة تعلق أهل الأندلس بها ، حتى ولو كان الخليفة المنصوب مزيفاً ، وهذا ما فعله ابن عباد عام (٤٢٦ هـ -١٠٣٤م) حين اراد تحقيق اهدافه السياسية عن طريق تنصيب رجل يشبه إلى حد كبير الخليفة هشام المؤيد المقتول عام (٤٠٣هـ -١٠١٢م)[2].

وقد ظل حلم الخلافة يراود الأندلسيين متمثلاً في دعائهم له في خطب الجمعة حتى عام (٤٥٠هـ – ١٠٥٨ م)[3] ، على الرغم من خلع الخليفة الأموي الأخير ، منذ عام (٤٢٢ هـ – ١٠٣٠)[4].

وقد ذكرت تشركوا[5] ، ان المصادر الأوروبية أطلقت على ذلك الحلم مصطلح (وهم الخلافة **Lafiction Califal**) وذلك بسبب الفراغ السياسي والروحي الذي لم

---

(1) ابن بسام، الذخيرة، ق١ ، مج١ ، ج١ ، ص١٨٧- ١٨٨؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج٢، ص١٨٠.

(2) ابن حزم، الرسائل، ج٢ ، رسالة نقط العروس، ص٩٧؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج٢، ص١٩٠ ، عنان، دول الطوائف، ص٢٤.

(3) ابن حزم، الرسائل، ج٢ ، رسالة في ذكر أوقات الأمراء وأيامهم بالأندلس، ص٢٠٤؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٣٠.

(4) ابن حزم، الرسائل، ج٢ ، ذكر اوقات الامراء، ص٢٠٢؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٨.

(5) مجاهد العامري، ص٤٠.

يتمكن احد من ملوك الطوائف ان يملاه ، واقتران حقبة الخلافة بقوة الأندلس وانتصاراتها على الممالك الاسبانية ، واقترانها بسعادة أهلها وذكرياتهم الجملية ، ولهذا أصابتهم الذهول والأسف عندما سقطت هذه المؤسسة وخافوا على وجودهم الذاتي والحضاري من المستقبل المجهول[1].

ويبدو ان أهالي الثغر الأعلى كانوا اشد احساساً بالخوف لقربهم جغرافياً من عدوهم الاسباني والفرنسي ، وقد مر بنا كيف غضب أهل تطيلة وأعلنوا العصيان على أميرهم (المنذر الأول) بسبب سياسته المتواطئة مع الملوك الأسبان وسيمر بنا ايضاً عصيان أهل سرقسطة لحكام بني هود بسبب دفعهم الاتاوة إلى الاسبان والاستعانة بهم في حروبهم المختلفة مقابل ذلك.

أما علاقة سليمان بن هود بالخلافة فكانت من اوثق ما يكون ويشير إلى هذا ابن بسام[2] الذي يذكر ان ابن هود بعث رسالة إلى الخليفة هشام المعتد بالله (٤١٨-٤٢٢ هـ / ١٠٢٧ -١٠٣٠م) يوم تنصيبه أطراه فيها ووصفه بـ" المهدي للأمة رحمة " ولم تقف العلاقة عند هذا الحد ، بل تجاوزت إلى ابعد من ذلك ، فقد لجأ الخليفة المذكور بعد خلعه واعتقاله ، إلى سليمان بن هود ، هارباً من قرطبة علماً ان ابن هود في هذه المدة لم يكن يحكم سرقسطة بل كان حاكماً لمدينة لادرة التابعة لها ، وهكذا اثر هذا الخليفة الالتجاء إلى لاردة متجاوزاً العاصمة سرقسطة ومنعتها ، وبقي عند ابن هود إلى وفاته عام (٤٢٧ هـ أو ٤٢٨ هـ / ١٠٣٥ -١٠٣٦م) ودفن فيها[3].

ويجدر بنا الآن العودة إلى عبدالله بن حكم ، لنحاول على ضوء ما ذكرنا تحديد موقفه إزاء كل من الخلافة وابن هود ، وذلك لمعرفة الدوافع التي أوصلته إلى اغتيال المنذر الثاني ، فهناك احتمال ان ابن حكم كان واحداً من اولئك الحالمين بمجد

(1) دوزى، ملوك الطوائف، ص٦- ٣١.

(2) الذخيرة، ق٣، مج١، ج٥، ص٥١٦ - ٥١٧.

(3) ابن حزم، الرسائل، ج٢، رسالة ذكر أوقات الأمراء، ص٢٠٤؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٩، الضبي ، بغية الملتمس، ص٢٤.

الخلافة وقد جمعه هذا الهدف مع ابن هود فدبرا خطة سرية يكون منفذها ابن حكم لكونه من أقرباء الحاكم ، وهذا يسهل عليه أمور عديدة في إعداد عملية الاغتيال وجمع الانصار ، وغير ذلك من الامور.

أما الاحتمال الثاني ، فيتمثل في حرص عبدالله بن حكم على استقلالية سرقسطة ، وخوفه من اطماع خؤوله المنذر الثاني بالتدخل في شؤونها الداخلية وبالتالي انهاؤهم لدور أسرته (بني تجيب) في حكم الثغر الأعلى ، ولذلك اتفق مع بني عمه على تنفيذ عملية الاغتيال ، ولم يكن ادعاؤه بالانتقام من عصاة الخليفة بعد تنفيذه لعملية الاغتيال الا تبريراً شرعياً ، الغرض منه تهدئة الوضع المضطرب لأهالي سرقسطة واستخداماً ذكياً للوتر الحساس الذي يتمنى عامة الناس العزف عليه ، وكان ترشيحه لسليمان بن هود بعد استدعائه لوجهاء البلد ، يدل دلالة واضحة على قوة اسرة بني هود العربية في منطقة الثغر الأعلى التي ربما ستكون البديل المناسب لاسرة بني تجيب في الوقوف أمام الضغط الاسباني ، في نظر أهالي سرقسطة وكان هذا الترشيح وسيلة أخرى استخدمها ابن حكم لتهدئة خواطر وجهاء البلد وعامته.

والارجح ان ابن حكم كان مدفوعاً بالعوامل التي اشرنا اليها في الاحتمال الثاني ، المتمثلة بالمحافظة على مصالح أسرته وتحقيق طموحاته الشخصية ويؤيد ذلك الروايات التاريخية التي تذكر انه استبد بالسلطة بمساعدة قوة كبيرة من أهالي سرقسطة سماهم ابن بسام[1] ، بـ"الغوغاء والسفلة" ، ومنح بوساطتهم دخول ابن هود إلى سرقسطة كما منع اسماعيل بن ذي النون خال المجني عليه ايضاً ، ولم يكن استخدامه للسلطة ليدل على مبدئيته واهدافه الكبيرة المعلنة ، بل وظفها في أمور غير اخلاقية مما اثار أهل سرقسطة فقرروا القيام بثورة مضادة كان من نتائجها هروبه والتجاؤه إلى حصن روطة الواقع على نهر خالون (Jalon) احد فروع نهر ابرو

---

(1) الذخيرة، ق١ ، مج١ ، ج١ ، ص١٨٦.

الجنوبية ، وعلى بعد (٣٥) كم جنوب غرب سرقسطة ، وقد اخذ معه اخوي المقتول ووزيره رهائن ، فضلاً عن اخذ ، اموالاً وذخائر استلبها من قصر الإمارة ، وحدث أثناء ذلك فوضى عارمة نهب خلالها عوام الناس قصر الإمارة ، حتى خلعوا مرمره ، لولا تعجيل ابن هود بالدخول إلى المدينة على اثر استدعاء أهلها له ، والاستيلاء على مقاليد الامور فيها عام (٤٣٠هـ - ١٣٠٩م) [١]. وتنفرد رواية ابن حزم[٢] بالقول ان الجاني قد قتل على يد ابن هود.

ولا تشير المصادر التاريخية إلى رواية واضحة تماماً عن كيفية استيلاء بني هود على السلطة في سرقسطة فابن خلدون[٣] ، يناقض كل الروايات التي ذكرناها ويعتقد بان القاتل هو سليمان بن هود الجذامي وان المقتول هو المظفر يحيى بن المنذر الأول ، ويتجاهل إي ذكر لعبد الله بن حكم ، كما ينقل عنه ذلك القلقشندي[٤] ، بل ان هناك من الروايات لو اعتمد عليها البحث لما زادته الا ارباكاً وغموضاً[٥] فرواية ابن الكردبوس[٦] مثلاً تقول: ثار يوسف بن هود بسرقسطة وكان أميراً عليها لبني أمية واقره ابن أبي عامر ، ومعلوم من خلال الروايات المعاصرة للأحداث ، ان يوسف هذا هو احد ابناء سليمان بن محمد بن هود ، فكيف يكون اميراً على سرقسطة لبني امية وابوه لم يتول حكمها الا بعد اغتيال المنذر الثاني عام (٤٣٠هـ-١٠٣٩م) أي بعد سقوط الخلافة ، وظهور عصر الطوائف.

---

(1) المصدر نفسه ، ص١٨٧ - ١٨٨؛ العذري ، نصوص عن الأندلس ، ص٤٨ ، ابن الابار ، الحلة السيراء ، ج٢ ، ص٢٤٦ - ٢٤٧؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٣ ، ص١٨٠ - ١٨١ - ٢٢٢؛ ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص٢٠٠.

(2) الجمهرة ، ص٤٣١.

(3) العبر ، ج٤ ، ص١٦٣.

(4) صبح الاعشى ، ج٥ ، ص٢٥٥.

(5) يقول المستشرق ليفي بروفنسال كما ينقل عنه ، ارسلان في الحلل السندسية ، ج٢ ، ص١٢٦ ، دون ان يذكر اسم المرجع: ان الارقام والتواريخ المتعلقة بدولة بني هود تناقض بعضها بعضاً.

(6) تاريخ الأندلس ، ص٦٧.

ورواية عبدالواحد المراكشي[1] هي الأخرى تعطينا توقيتاً خاطئاً حول حكم ابن هود لسرقسطة حيث تذكر ان اخر خلفاء بني امية ، هشام المعتد التحق بعد خلعه بابن هود المتغلب على لادرة وسرقسطة وافراغة وطرطوشة وما إلى تلك الجهات فاقام عنده إلى ان مات في سنة ٤٢٧ هـ/ ١٠٣٥ م. بينما تتفق جميع الروايات المعاصرة للحدث ، والتي تنقل عنها ، ان سليمان في هذه المدة لم يكن يحكم سوى لاردة وتطيلة وبعض الحصون.

أما الرواية الاكثر غرابة وغموضاً ، رغم انها تؤرخ للحديث بالسنة والشهر واليوم وجزء اليوم ، فقد ذكرها المؤلف المجهول لكتاب فتح الاندلس[2].

حيث قال تحت عنوان سرقسطة:

" استبد فيها بنو هود، المعروف بالبرقولي، وهو المظفر منذر بن عيسى الجذامي من عرب سرقسطة، كان فيها والياً لابن ابي عامر، فلما وقعت الفتن استبد فيها، وذلك يوم الأحد لثلاث خلون من المحرم سنة إحدى وثلاثين واربعماية فكان اول من ملك منهم المستعيذ بالله سليمان بن هود، ثم ج مات في ذي القعدة سنة ثمان وثلاثين واربعماية وولي ابنه المقتدر بالله احمد بن سليمان خمسة وثلاثين عاماً وخمسة اشهر وخمسة عشر يوماً، ومات عصر يوم الاثنين لخمس خلون من جمادى الأولى سنة اربع وسبعين واربعماية..."

---

(1) المعجب، ص١١٠.

(2) نشر: دون خواكين دي كونثاليث، ص٨٠- ٨١.

لقد ورد في هذا النص لقب (البرقولي) مضافاً ربما لابن هود ، وهو مصطلح جديد لم يرد ذكره في جميع الروايات المتعلقة بالموضوع ، أما اسم (المظفر منذر بن عيسى الجذامي) فالاشكال الأول فيه ان لقب المظفر ليس للمنذر وانما هو لابنه يحيى ، وان اللقب الصحيح له هو المنصور[1] وأما كلمة (عيسى) فهي على ما يبدو رسماً خاطئاً وتحريف من الناسخ لكلمة (يحيى) ، لم ينتبه له المحقق ، وجملة (استبد فيها بنو هود) لو جاءت بعد كلمة (الفتن) لاصبح التعبير اقرب إلى الصحة في وصف الواقعة التاريخية كما رواها المعاصرون لها ، بحيث تصبح كالاتي: فلما وقعت الفتن استبد فيها بنو هود وذلك يوم الأحد لثلاث خلون من المحرم سنة إحدى وثلاثين واربعماية ، فكان اول من ملك منهم المستعين (وليس المتسعيذ كما ورد في النص) سليمان بن هود الجذامي من عرب سرقسطة.

وزيادة على غموض هذه الروايات الثلاث التي اوردها ، المراكشي وابن الكردبوس والمؤلف المجهول ، فهي لم تسعفنا ولو بمعلومة صغيرة عن كيفية استيلاء بني هود على السلطة ، ولم تذكر شيئاً عن اغتيال الامير منذر ، وكذلك الحال مع رواية ابن الاثير[2] ذلك المؤرخ الذي كنا نتمنى لو زودنا ببعض المعلومات التي تخص موضوع البحث ، لاسيما وانه شاهد احد احفاد بني هود في دمشق عام (٥٩٠ هـ - ١١٩٣م) ووصفه الفقر الشديد وعلم محل اقامته.

ولكن على إي حال ومن خلال عرضنا لمواقف عبدالله بن حكم عبر سير الاحداث ، نستطيع القول ان استيلاء سليمان بن هود على السلطة في سرقسطة وإنهاؤه لدور اسرة بني تجيب في حكم البلاد ، لم يكن بالاتفاق المسبق والمخطط له مع ابن حكم ، على الرغم من الايحاء الذي قدمته النصوص التي ذكرت ايمان القاتل باعادة مجد الخلافة ، من خلال موقفه من معارضيها ، حسبما ادعى وهو على شرفة

---

(1) انظر: ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب، ج٢ ، ص٤٣٥- ٤٣٦؛ ابن خلدون، العبر، ج٤ ، ص١٦٣.

(2) الكامل في التاريخ، ج٩ ، ص٢٨٩.

قصر الإمارة ، ودعوته لحكومة ابن هود المؤيدة لفكرة إعادة ذلك المجد.

ان اغتيال المنذر الأخير ، وتدهور الأوضاع الاجتماعية والسياسية في سرقسطة على اثر ذلك كان فرصة مناسبة لسليمان بن هود لكي يشبع طموحه بالسيطرة على بقية الثغر الأعلى ولعل خير من يصور حالة ابن هود بعد سماعه خبر اغتيال المنذر هو ابن سعيد[1] ، حيث يقول: "فلما سمع بهذا الخبر انقض على سرقسطة انقضاض العقاب منتهزاً الفرصة" والواقع ان الاجواء كانت مفتوحة أمام اسرة بني هود بوصفها قوة عربية جديدة[2] ، يامل أهل سرقسطة ان تكون منيعة وبمستوى التحديات التي تجابه المنطقة من جهة الممالك الاسبانية ، التي بدأت تزيد نشاطها العسكري بعد سقوط الخلافة ، التي كانت تشكل قوة مجابهة ، وبعد ان خضعت أسرة بني تجيب لغطرسة الحكام الأسبان وأباحت لهم المرور عبر أراضيها رغم معارضة الأهالي لذلك[3].

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه ، هل استطاعت أسرة بني هود ان تحقق طموحات أهل سرقسطة؟ ان الإجابة على هذا التساؤل يكون من خلال تعرفنا على طريقة تعامل بني هود مع السلطة اولاً ، وكذلك من خلال سياستهم الخارجية مع جيرانهم المسلمين ، ومع الممالك الاسبانية ، وهذا ما سنتعرف عليه في المباحث والفصول الآتية:

---

(1) المغرب في حلى المغرب، ج٢ ، ص٤٣٦؛ كما استخدم المؤرخون الاخرون كملة " سارع" و " عجل" ، للتعبير عن نفس الدلالة ، انظر: ابن بسام الذخيرة، ق١ ، مج١ ، ج١ ، ص١٨٦؛ ابن الابار ، الحلة السيراء ، ج٢ ، ص٢٤٧؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج٣، ص١٨٠.

(2) يقول ابن عذارى وابن الخطيب: ان أهالي سرقسطة بقوا من دون امير يدبر امرهم، فبعثوا إلى سليمان بن هود ، وهذا يدل على ان بني هود كانوا القوة العربية الوحيدة والبديلة لاسرة بني تجيب؛ انظر: البيان المغرب، ج٣، ص٢٢٢؛ اعمال الاعلام، ص٢٠٠.

(3) انظر: حول هذا المرور ومعارضته بالتفصيل؛ ابن بسام، الذخيرة، ق١ ، مج١ ، ج١ ، ص١٨٣-١٨٤.

الصراع الداخلي وأثره على سقوط الأسرة

لم تتحدث المصادر التاريخية في جهود قام بها الحاكم الأول لاسرة بني هود ، سليمان (٤٣٠-٤٣٨هـ - ١٠٣٩-١٠٤٦م) في مجال البناء الداخلي لامارته استعداداً لمواجهة خطر الممالك الاسبانية ، وكل ما تحدثت عنه كان منصباً حول صراعه العسكري مع جيرانه المسلمين حكام طليطلة ، الذي استمر نحو ثلاث سنوات ولم ينته إلا بعد وفاته عام (٤٣٨ هـ - ١٠٤٦م) .

وكان اخطر ما قام به في مجال السياسة الداخلية هو تقسيمه للمملكة بين أبنائه الخمسة قبيل وفاته ، فكانت سرقسطة من نصيب احمد ، الذي كان على ما يبدو أكثر أبنائه طموحاً واقواهم شخصية ، لانه نال اكبر الحصص في التقسيم ، علماً بأنه لم يكن اكبر أبنائه ، بل كان كبيرهم يوسف الذي ولاه أبوه مدينة لاردة ، وهي من توابع سرقسطة ، أما مدن قلعة أيوب ووشقة وتطيلة ، فقد كانت من نصيب أبنائه الثلاثة الآخرين ، محمد ولب ومنذر على التوالي ، واستقل هولاء الأخوة في حكم هذه المدن بشكل تام بعد وفاة ابيهم[1].

لقد جر هذا التقسيم المنطقة الثغرية إلى منازعات عسكرية خطيرة بين الاخوة ، أدى إلى إضعاف البلاد اقتصادياً وعسكرياً أمام الممالك الاسبانية المتربصة ، وكان بداية فعلية لتدخلها في شؤونها الداخلية وبالتالي الانقضاض عليها ، ومحاولة إسقاطها وفرض الشروط على حكامها ، واستنزاف أموالها.

وكان مفجر الصراع الداخلي في سرقسطة هو احمد بن سليمان بن هود[2] ، الذي تصفه الروايات التاريخية[3] ، بأنه عميد بني هود وعظيمهم ، وأقواهم سلطاناً

---

(1) ابن عذارى، البيان المغرب، ج٣، ص٢٢٢؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص١٧١.

(2) ابن عذارى، البيان المغرب، ج٣، ص٢٢٢؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص١٧١.

(3) النظر: ابن بلقين، التبيان، ص٧٨؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢٤٧؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٤٣٦؛ وانظر: مؤنس، الثغر الأعلى، ص١٠١، عنان؛ دول الطوائف، ص٢٦٢.

وأكثرهم طموحاً في امتلاك البلاد ، وأوسعهم ذكراً في تاريخ ملوك الطوائف بعد المعتمد بن عباد أمير اشبيلية ، فقد قام احمد بالاعتداء على أخوته الثلاثة (لب ومحمد ومنذر) وسيطر على املاكهم باساليب تعسفية قاسية حيث زجهم في السجن وسمل اعينهم[١] ، ولم يفلت من وسائله هذه إلا اخوه الكبير يوسف الملقب بـ(حسام الدولة) حاكم لاردة ، الذي تحداه وكسب عطف أهالي الثغر الأعلى ، فبادروا بخلع طاعتهم عن احمد ، وبذلك اصبحت سلطة الثغر الأعلى بيد يوسف ، ولم يبق لاخيه سوى سرقسطة[٢].

اخذ احمد يترقب الفرصة للانقضاض على المناطق التي بين يدي أخيه وإعادتها لحكمه ، وصادف ان تعرض مدينة تطيلة إلى مجاعة قاسية أجبرت يوسف ان يتخذ قراراً بجمع المساعدات من المدن الأخرى الواقعة تحت حكمه ، وعندما رأى يوسف انه لا يستطيع ان يجلب الامدادات عن طريق سرقسطة خوفاً من اخيه فاوض (راميرو الأول Ramiro 1) أمير اراغون (٤٢٧ هـ - ٤٥٥هـ / ١٠٣٥ م — ١٠٦٣م) واتفق معه على عبور الإمدادات عبر أراضيه مقابل أموال مناسبة ، ولما علم احمد بالخبر بعث إلى راميرو سرا وعرض عليه إضعاف أموال اخيه ليمكنه من إبادة القوافل المحملة بالاقوات ، فاستجاب الامير الارغوني لذلك ، وما كادت القافلة تعبر أراضي اراغون الواقعة شمال شرق تطيلة حتى انقضت عليها قوات احمد وأبادت معظم رجالها الذي قدر عددهم بالالاف واستولى جنود مملكة اراغون على المؤن والذخيرة واخذوا البقية أسرى[٣].

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٢٢؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص١٧١؛ عنان، دول الطوائف، ص٢٦٢.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٢٢؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٦٣.

(3) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٢٣- ٢٢٤؛ وقد وهم محمد عبدالله، عنان حين ذكر ان يوسف بن هود فاوض غرسيه ملك نافسار (Carces DE Navarra)؛ دول الطوائف، ص٢٦٣؛ وانظر: تشركوا مجاهد العامري، ص٦٦.

وهكذا عادت دويلة بني هود موحدة مرة أخرى على يد احمد بن سليمان ابن هود ، على الرغم من استمرار النزاع بين الاخوين ، وفشل محاولة السلام بينهما[1] .

وظلت سياسة احمد المقتدر تقوم على أساس استخدام القوة أمام اية معارضة مهماً بلغ حجمها ، حتى لو جاءت من قبل أفراد من رعيته ينصحوه بعدم دفع الاتاوة للعدو مقابل طلب حمايته العسكرية[2] .

ولكن مأساة الحرب الأهلية عادت مرة أخرى ، وذلك بسبب سياسة ولاية العهد التي اتبعها احمد المقتدر ، حيث قسم المملكة بين ولديه قبيل وفاته (٤٧٢هـ / ١٠٧٩م) فكانت سرقسطة واعمالها الغربية من نصيب ولده يوسف الملقب بـ (المؤتمن) أما لاردة ومنتشون وطرطوشة ودانية ، فكانت من نصيب المنذر[3] ، وهكذا نرى ان احمد المقتدر لم ياخذ درسا من فعله والده السلبية في مجال ولاية العهد ، رغم انه خشي من حسد ولده المنذر وبأسه واحتمال خروجه عن طاعة أخيه ، فحاول معالجة ذلك بتقليل الأموال اللازمة لإدارة مدنه حتى يكون اقل قوة من أخيه المؤتمن ، إلا ان سياسته هذه لم تمنع قيام الصراع بين الأخوين[4] ، وقد استعان كل منهما بالنصارى فكان المؤتمن يستعين بحليف أبيه رديجو دياث دي بيار (Rodirgo Dize de vivar) المعروف بـ (السيد الكمبيادور) ،[5] وجيشه من المرتزقة ، بينما كان المنذر

---

(1) عن مسالة السلام بين الاخوين احمد المقتدر ويوسف المظفر. راجع بالتفصيل ابن بسام، الذخيرة، ق٣، مج١، ج٥، ص٤٢٣ وما بعدها.

(2) ابن عذارى، البيان المغرب، ج٣، ص٢٢٩.

(3) ابن بلقين، التبيان، ص٧٩؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٩٨؛ دوزى، ملوك الطوائف، ص٢٣٢؛ مؤنس الثغر الأعلى، ص١٠٢٠؛ عنان، دول الطوائف، ص٢٧٢؛ تشركوا، مجاهد العامري، ص٦٨.

(4) ابن بلقين، التبيان، ص٧٩.

(5) وهو احد النبلاء النصارى، عرض خدماته على حاكم سرقسطة احمد المقتدر مرتزقاً، وذلك بعد مشاجرة جرت بينه وبين سيده الفونسو السادس ملك قشتالة، وقد استطاع بعد مدة من الزمن الاستيلاء على حكم مدينة بلنسية.
ملحمة السيد، تحقيق وترجمة، الطاهر مكي، ص٨٤- ١٩٢.

يستعين بسانشو راميروز (Sancho Ramirez) (ت ٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤م) أمير اراغون ، ورامون برنجير (Ramon Berenguer) أمير برشلونة (Barcelona) وقد وقعت اول معركة بينهما عند قلعة المنارة (Almenara) الواقعة على بعد عشرين (٢٠) كم شمال غربي لاردة ، هزم فيها المنذر ، واسر أمير برشلونة رامون برنجير عام (٤٧٥ هـ/ ١٠٨٢م) [١] ولكن الصراع الداخلي لم ينته حتى بعد وفاة المؤتمن عام (٤٧٦ هـ / ١٠٨٣م) [٢] حيث نهض ابنه احمد الملقب بالمستعين وحارب عمه المنذر ، وكان كلاهما يستعين على خصمه باعداء الأندلس من الأسبان مقابل أموال طائلة[٣].

وقد ارهقت هذه المنازعات أهل سرقسطة ، وجلبت عليهم المآسي وكان المستفيد الأول منها ، هم اعداء الأندلس ، لذلك شرط الأهالي على حاكمها عبد الملك (عماد الدولة) حين تولى الحكم بعد استشهاد والده احمد المستعين ، عدم الاستعانة بالممالك الاسبانية ، وعندما اخل بشرطهم قاموا بخلعه[٤] . وفسحوا المجال أمام المرابطين ليدخلوا سرقسطة وينهوا دور أسرة بني هود في حكم المدينة[٥] ، وذلك عام (٥٠٣ هـ / ١١٠٩م) ولم يدم حكم المرابطين للمدينة سوى تسع سنوات حتى سقطت سرقسطة على يد الفونسو

---

(1) مونس، الثغر الأعلى، ص١٠٢؛ اشباخ، تاريخ الأندلس، ص١٣٦- ١٣٧؛ عنان، دول الطوائف، ص٢٧٥؛ تشركوا، مجاهد العمري، ص٦٨؛ بروفنسال، الإسلام في المغرب والاندلس، ص١٨٤.

(2) يذكر غالبية المؤرخين، قدامى ومحدثين، ان سنة وفاة المؤتمن هي ٤٧٨ هـ ولكن المؤرخة تشركوا تذكر الوفاة عام ٤٧٦هـ بناء على النقود التي ضربت في تلك السنة وكانت باسم احمد المستعين الذي خلفه، ويؤيد هذا التاريخ حسين مؤنس؛ انظر: مجاهد العامري، ص٦٨؛ الثغر الأعلى، ص١٠٢.

(3) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٩٨؛ مونس، الثغر الأعلى، ص١٠٢.

(4) ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢٤٨؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج٤، ص٥٣؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص١٧٥.

(5) سياتي الحديث عن المرابطين وعلاقتهم ببني هود في الفصل الثاني من هذه الرسالة.

الأول ملك اراغون عام (٥١٢ هـ / ١١١٨م) [1] إلى غير رجعه.

وكان عماد الدولة عبد الملك قد التجأ إلى روطة، تلك القلعة التي اعدها بنو هود وزودوها بالابنية الفخمة لتكون ملجأ لهم عند الضرورة وبقى تحت حماية الفونسو الأول حتى وفاته عام (٥٢٤ هـ / ١١٣٠ م) فخلفه ابنه سيف الدولة احمد المستنصر بالله في حكم روطة وما حولها من حصون لكنه وقف عاجزاً أمام ضغط الفونسو ريمونديز (Alfonso Raimundez) الذي تسميه الرواية العربية [2]، السليطين، ملك قشتالة، فتنازل عن القلعة مقابل املاك بجوار طليطلة اقطعه اياها الفونسو سنة (٥٣٤ هـ / ١١٣٩م) [3].

ولعب سيف الدولة في الرواية الأوروبية باسم سفادولا (Zafadual) [4] دورا في حكم قرطبة، حيث استدعاء أهلها ليتولى حكمها، وتذكر المصادر [5]، انه قتل بعد ذلك في معركة مع النصارى في شرق اسبانيا عند منطقة جنجالا (Chinchilla) وذلك سنة (٥٤٠ هـ / ١١٤٦ م).

---

(1) ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢٤٨.

(2) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص١١٩- ١٢٠، ابن القطان، نظم الجمان، ص٢٠٠.

(3) عن عصر عبدالملك وابنه سيف الدولة؛ انظر: ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢٤٨ - ٢٥٢؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٤٣٨؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص١١٩- ١٢٠؛ ابن القطان، نظم الجمان، ص٢٠٠؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص١٧٥ - ١٧٦؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٨٢؛ وانظر: مؤنس، الثغر الأعلى، ص١١٨، عنان؛ دول الطوائف، ص٢٨١ - ٢٨٢ - ٢٨٣.

(4) اشباخ، تاريخ الأندلس، ص١٧١؛ عصر المرابطين، ص١٢٨.

(5) ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢٥١ - ٢٥٢؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٤٣٨ وانظر: Dunlop, op. cit., P. 543.

ويذكر ابن الخطيب[1] ان عهد بني هود انقرض من الأندلس بعد هذا التاريخ حتى ظهور المتوكل بن هود في مرسية (Muriia) عام (٦٢٥هـ/ ١٢٢٧م) ، الذي ادعى بأنه من ذرية المستعين بن هود الجذامية ، واستطاع حكم مرسية ، وقرطبة واشبيلية وغرناطة (Cranada) ومالقة (Malage) والمرية ، ولقب بامير المسلمين ، ودعا بدعوة الخلافة العباسية ولبس السواد شعارها ، وفي عام (٦٣١هـ/ ١٢٣٣م) ارسل إليه الخليفة العباسي من بغداد ، الهدية والتقليد وتوفي المتوكل بن هود عام (٦٣٥ هـ - ١٢٣٧م) واختلف في سبب وفاته ولم يظهر بعده من الحكام من ادعى بأنه من سلالة بني هود.

---

(1) اعمال الاعلام، ص١٧٦ - ٢٨٠؛ وانظر: الاحاطة في اخبار غرناطة، ج٢، ص١٢٨ - ٢٣٢ المراكشي، المعجب في ذكر اخبار المغرب، ص٤١٧؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢ ص٤٣٨؛ ابن خلدون، المقدمة، ص١٦٥؛ اشباخ، تاريخ الأندلس، ص٤٠٨.

الفصل الثاني

علاقة سرقسطة مع دويلات الطوائف

تمهيد

طبيعة السياسة الخارجية لدويلات الطوائف

أ- طليطلة

ب- طرطوشة

ج- دانية

د- بلنسية

تمهيد

طبيعة السياسة الخارجية
لدويلات الطوائف

على الرغم من السيادة الكاملة التي تمتع بها حكام دويلات الطوائف في مدنهم ، واستقلالهم التام بها ، إلا ان اطلاقنا لمصطلح (السياسة الخارجية) على علاقاتهم مع بعضهم ، قد توحي للقارئ انه يحمل في طياته بعدا انفصالياً يشمل نواحي العقيدة واللغة والتاريخ ، وغيرها من المقومات الأساسية لأي مجتمع وهذا تكلف لاتحمله طبيعة تلك العلاقات.

صحيح ان الطمع والفردية قد غلبت على أسرة بني هود مثلما غلبت على باقي الاسر الحاكمة في المدن الاندلسية الأخرى ، وخلفت نزاعات عسكرية لاتخلو من مآمنٍ يوسف لها ، إلا ان تلك النزاعات يمكن ان تعد شأنا (داخلياً) بين الأسرة الاندلسية الواحدة ، ويمكن علاجها باحتمال عودة القيادة الموحدة (الغائبة) وما حصل فيما بعد على يد المرابطين بقيادة يوسف بن تاشفين ابرز دليل على ذلك.

ان اطلاق مصطلح (السياسة الخارجية) على علاقة سرقسطة بدويلات الطوائف الأخرى كان لسبب منهجي ، وذلك بقصد توضيح الدراسة لا أكثر ، فلقد تميزت العلاقات بين دويلات الطوائف في اغلب الأحيان بالعفوية المحكومة بالأخوة الدينية

والقومية ، فمثلاً نجد الأمير عبدالله بن بلقين[1] أمير غرناطة ، المعاصر للأحداث ، ينقد في مذكراته توجه حاكم سرقسطة احمد المقتدر نحو بلنسية للاستيلاء عليها ، بعد سيطرته على مدينة دانية سنة (٤٦٨ هـ / ١٠٧٥ م) وكان المفروض حسب رأي الأمير عبدالله ان يوجه احمد المقتدر قواته العسكرية نحو جهاد الممالك الاسبانية المعادية ، لاسيما ان بني هود بعد ذلك التاريخ أصبحوا أقوى الأسر الحاكمة بالأندلس.

وعندما احتل النورمان بربشتر ، تلك المدينة التابعة لسرقسطة ، الواقعة إلى الشمال الشرقي منها ، بعث المعتضد بن عباد حاكم اشبيلية ، فرقة عسكرية مكونة من (٥٠٠) خمسمائة فارس مساعدة لجيش بن هود لاسترجاع المدينة[2] ، كما وصل عدد المتطوعين للقتال من عموم دويلات الأندلس إلى نحو (٦) ستة الاف مقاتل[3] وهو عدد لا يستهان به في ظل مقاييس ذلك العصر. وعندما قابل المعتمد بن عباد يوسف بن تاشفين (أمير المسلمين) وعرض عليه ضرورة انقاذ الأندلس وضح له خطورة حصار الجيش القشتالي لسرقسطة بوصفه سبباً يستدعي الانقاذ[4] كما تبني بنو هود والحكام الآخرون علاقة (المصاهرة) وهي وان كانت تحمل طابعاً سياسياً إلا أنها لا شك — تركت رحما وقرابة بين الأسر الحاكمة[5].

وكان ابنا سليمان بن هود ، احمد المقتدر ويوسف المظفر ، وهما في خضم صراعهما الداخلي حول السلطة ، يبعثان برسائل إلى أبي الوليد محمد بن جهور والمعتضد بن عباد حاكمي قرطبة واشبيلية ، يوضحان لهما فيها وجهات نظرهما

---

(1) التبيان، ص٧٨.

(2) ابن بسام، الذخيرة، ق٣، مج١، ج٥، ص١٩٠؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٧٣.

(3) ابن عذارى، البيان المغرب، ج٢، ص٢٢٧.

(4) ابن أبي زرع، الانيس المطرب، ص١٤٤.

(5) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، مج١، ج٧، ص٢٦٦؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٨١؛ ابن عذارى، بيان المغرب، ج٣، ص٣٠٤.

وتظلمهما من بعضهما ، على الرغم من البعد الجغرافي بين مدنهم الثلاثة ، واستقلالهم الذاتي في حكمهم[1].

ويروى المقرى[2] ، ان ثلاثة من حكام دويلات الطوائف ، وهم احمد المقتدر حاكم سرقسطة والمعتصم بن صمادح حاكم المرية ، وعلي بن مجاهد العامري ، حاكم دانية ، قد ارسلو وفدا مشتركاً إلى المعتمد بن عباد والمامون بن ذي النون ، حاكمي اشبيلية وطليطلة لغرض إجراء المصالحة بينهما.

ولجأ إلى سرقسطة شعراء وأدباء بعضهم كان يشغل مناصب سياسية في بلاده ، فابو بكر بن عمار مثلا كان وزير المعتمد بن عباد ومستشاره[3] ، والشاعر أبو محمد بن عبدالله بن هود ، احد أمراء أسرة بني هود ، لجأ إلى بطليوس ، عند حاكمها المتوكل بن الافطس[4] ، ولم تحدثنا المصادر التاريخية عن اية مشكلة أو نزاع حصل بين دويلات الطوائف نتيجة لهذا اللجوء السياسي.

أما استخدامنا عبارة)السياسة الخارجية) على العلاقة بين سرقسطة والممالك الاسبانية ، فليس المقصود منه التقسيم الدراسي حسب ، وانما لتاكيد الانفصال بين الجانبين في مجالات العقيدة ، واللغة والتاريخ ، فالصراع هنا ، حضاري – ديني ، بينما الصراع بين دويلات الطوائف ـ مؤقت ـ لا يتعدى حدود الطمع حول حصن أو مدينة ، وينتهي احياناً بوفاة الحاكم ـ فمثلاً ـ الصراع بين طليطلة وسرقسطة دام حوالي ثلاث سنوات لكنه توقف بعد وفاة سليمان بن هود مباشرة وكان سببه منطقة صغيرة تسمى(وادي الحجارة)(Guadalajara)انقسم أهلها في ولائهم بين بني هود وبني ذي النون.

---

(1) ابن بسام، الذخيرة، ق٣، مج١، ج٥، ص٤٣٤؛ وانظر: رسالة احمد المقتدر بالله المنقولة عن المخطوط رقم (٤٨٨) بمكتبة الاسكوريال، عنان؛ دول الطوائف، ص٤٢١ - ٤٣٢.

(2) نفح الطيب، ج٣، ص٤٠٥، برواية ابن غالب في كتابه فرحة الانفس.

(3) ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص١٤٦.

(4) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٤٣٩.

أما الصراع بين سرقسطة ومملكة قشتالة ، فكان ذا نتائج مصيرية واستمر بوجود الطرفين ولم ينته بوفاة الحاكم ، لذلك تاهب أهالي الأندلس جميعاً بعد سقوط بربشتر ، وانتاب حاكمهم شعور مشترك من الحزن والقلق بعد سقوط طليطلة عام (٤٧٨ هـ / ١٠٨٥م) ، رغم خلافاتهم.

العلاقة مع دويلات الطوائف

أ- طليطلة:

لم يمض على حكم بني هود لسرقسطة سوى اربع سنوات ، وهي مدة لم تتحدث عنها المصادر كثيراً ، حتى قام النزاع العسكري بينهم وبين بني ذي النون[1] حكام طليطلة الواقعة في وسط شبه الجزيرة الايبرية ، ولعل من جملة الأسباب التي ادت إلى هذا الصراع ، مقتل المنذر التجيبي الأخير ، وشعور بني ذي النون ان من واجبهم اخذ الثأر بوصفهم خؤولة المقتول ، ولعلهم ظنوا من خلال هذه الصلة أنهم أولى من غيرهم في حكم سرقسطة.

وربما كان للأهداف التوسعية دورها في إشعال فتيل الحرب بينهما ، وهي ظاهرة شاعت بين جميع دويلات الطوائف ، ويعود السبب الرئيس فيها على ما يبدو إلى انعدام الثقة بين حكام الطوائف وخوفهم بعضهم من بعض ، على أملاكهم التي لم يكن لهم تأييد شعبي أو جذر تاريخي يسندهم في حكمهم لها ، فقد جاءتهم على غفلة من الزمن ، وقد يفقدونها وفق هذا المنطق ايضاً ، لهذا عملوا جاهدين من اجل التوسع على حساب بعضهم ، لكي يثبتوا سلطتهم ، ومن هذا المنطلق كان الصراع

---

(1) هم من القبائل المغربية ينسبون إلى جدهم ذنون، ولم تكن لهم شهرة إلا في ظل الدولة العامرية، حيث ظهر منهم قادة وحكام، انظر: ابن عذارى، البيان المغرب، ج٣، ص٢٧٦؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص١٧٦- ١٧٧.

حول مدينة وادي الحجارة ، الثغرية المحصنة ذات الخيرات الزراعية الكثيرة المتاخمة لحدود تلك الدولتين سرقسطة وطليطلة[1] ، ويذكر ابن عذارى[2] ، ان أهلها كانوا منقسمين في ولائهم حيث مال بعضهم إلى بني هود ، والبعض الاخر إلى بني ذي النون ، وكان هذا عاملاً اضافياً مهماً في اذكاء الصراع بينهما.

ويبدو ان بني ذي النون كانوا هم البادئين في التحريض على هذا النزاع ، ونستطيع ان نستنتج ذلك من رواية لابن عذارى[3] ، تنص على ان يحيى بن إسماعيل ابن ذي النون الملقب (المأمون) كان يأمل في التوسع من جهة وادي الحجارة ، فعارضه ابن هود في ذلك مستخدماً القوة وذلك بإرسال ابنه احمد للسيطرة عليها ، وعندما سمع يحيى خبر استيلاء ابن هود على وادي الحجارة ، جرد جيشا لاخراجه منها فحصلت معارك كان النصر فيها لابن هود ، والفرار لابن ذي النون ، الذي حوصر في مدينة طلبيرة (Talvera) التي تقع إلى الغرب من طليطلة ، وضاق عليه الحصار ، وارسل احمد إلى أبيه يخبره بانتصاره فاجابه سليمان بفك الحصار والرجوع إلى سرقسطة[4] ، ولعل قراره هذا يعود إلى الظروف العسكرية لسرقسطة ، التي لا تسمح بحرب طويلة الأمد مع طليطلة ، لأنها تشغل الجيش عن مهمة الوقوف أمام أطماع الممالك الاسبانية ، أو ربما لاعتقاد سليمان بان هذا الانتصار كان كافياً لردع بني ذنون ومنعهم من التفكير في السيطرة على وادي الحجارة مرة أخرى.

لكن يحيى المأمون أصر على انتزاع النصر من يد بني هود بأية وسيلة حتى لو كانت على حساب الحرمة الدينية والوطنية لذلك استعان بعدو الأندلس ملك قشتالة

---

(1) مؤلف مجهول، الدرة النثيرة، ص١٤.

(2) البيان المغرب، ج٣، ص٢٧٧.

(3) المصدر نفسه، ص٢٧٧.

(4) المصدر نفسه، ص٢٧٨؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص١٧٨؛ عنان، دول الطوائف، ص٢٦١.

فرنانـدو الأول (Fernando 1)(٤٢٩ -٤٥٨هـ/ ١٠٣٧ - ١٠٦٥م) مقابـل أمـوال كـثيرة ، فلبى طلبه وعاث جنوده في أراضي سرقسطة فكانت ضربة اقتصادية وعسكرية بالغة الضرر لحقت ببني هود ، حيث حصد الأعداء كل الزروع والغلال ، ونقلوها إلى بلادهم ، واستمر التخريب زهاء شهرين كاملين ، رافقه قتل واسر وتدمير ، والغريب ان بني هود لم يحركوا ساكناً إزاء ذلك[1].

وحاول يحيى المأمون تعزيز قوته بمحالفته للمعتضد بن عباد حاكم اشبيلية مقابل اعترافه بطاعة الخليفة هشام (المزيف) الذي كان ابن عباد قد نصبه خليفة ليحقق من خلاله مآرب سياسية وكان اسماعيل والد يحيى المأمون قد رفض من قبل الاعتراف به[2] ، وربما قصد حاكم طليطلة بهذا التحالف تجنب أطماع ابن عباد في السيطرة على طليطلة من خلال الجبهة الجنوبية للمدينة ، لانشغالها بالحرب مع سرقسطة أو ربما خاف ان يكسبه ابن هود ، وعندها تصبح طليطلة محصورة بين جبهتين.

ولم يكن موقف ابن هود من تحالفات خصمه مع اعداء الامة متوازناً فقد ارتكب الخطأ نفسه ، فعرض أمواله الطائلة على فرنانـدو الأول ملك قشتالة بغية الإغارة على ممتلكات طليطلة ، وعندما سمع ابن ذي النون بذلك تخلى عن حليفه فرنانـدو ، والتمس محالفة ملك نافار ، غرسيه بن سانشو[3] ، (Carcia Sancho) (ت ٤٤٦ هـ - ١٠٥٤م) مقابل أموال طائلة فقام هذا بالاستيلاء على قلعة قلهوة ، التي تقع إلى الشرق من سرقسطة وذلك عام (٤٣٧هـ / ١٠٤٥م) وألحقها بأراضي مملكته ، بعد ان كانت ضمن الأراضي الأندلسية منذ أيام المنصور بن أبي عامر[4].

---

(1) ابن عذارى، البيان المغرب، ج٣، ص٢٧٨؛ عنان، دول الطوائف، ص٩٧.

(2) ابن عذارى، البيان المغرب، ج٣، ص٢٧٩؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص١٧٨.

(3) غرسيه ملك نافار: هو اخو فرناندو وملك قشتالة كانت بينهم منافسة وصراع أدى إلى مقتل الأول عام (٤٤٦ هـ - ١٠٥٤م)؛ انظر: اشباخ، تاريخ الأندلس، ص١٤ - ١٥.

(4) ابن عذارى، البيان المغرب، ج٣، ص٢٨١؛ اشباخ، تاريخ الأندلس، ص١٤ ، عنان، دول الطوائف، ص٩٨.

وهكذا وقعت أراضي المدينتين الأندلسيتين تحت رحمة جيوش الممالك الاسبانية بقيادة فرناندو الأول ، وغرسيه بن سانشو ، ووضاق الناس ذرعا من غارتهم المتكررة فاضطر أهل طليطلة ان يبعثوا إلى سرقسطة وفدا من وجهائهم لعرض الصلح عليهم ، فتقدم هذا الوفد بالتحذير من عواقب هذه النزاعات التي لم يكن المستفيد الأول منها سوى النصارى الأسبان ، فتظاهر سليمان بن هود بالقبول ، وقام ابن ذي النون من جانبه بصرف حلفائه الأسبان إلى بلادهم ، وبعد مدة وجيزة من قبول الصلح ، نقض ابن هود العهد ، حيث خرج مع حلفائه الأسبان وهجم على مدينة مالم (Medincile) الواقعة إلى الجنوب الغربي من سرقسطة التابعة لطليطلة يساعده في ذلك عبد الرحمن اخو يحيى المأمون حاكم طليطلة وعندما سمع الأخير بالخبر سارع بجيشه ليدافع عن املاكه وفي هذه الظروف انتهز النصارى الأسبان حلفاء ابن هود الفرصة وقاموا بالهجوم على أراضي طليطلة وعاثوا فيها فساداً مما اضطر الأهالي إلى عقد الهدنة مع فرناندو الأول مقابل أموال طائلة لكنه شرط عليهم شروطا كثيرة عجزوا عن تنفيذها مما افشل العقد[1].

ودامت الفتنة بين حاكمي طليطلة وسرقسطة ثلاث سنوات منذ عام(٤٣٥/ ١٠٤٣م) وانتهت بوفاة سليمان بن هود عام (٤٣٨هـ / ١٠٤٦م)[2].

وبدأت مرحلة جديدة سادها السلام وذلك في عهد احمد المقتدر بن سليمان بن هود (٤٣٨ هـ -٤٧٢هـ/ ١٠٤٦ -١٠٧٩م) تميزت بتبادل الرسائل الودية ، حيث يشير ابن بسام[3] ، ان رسالة شكر وتقدير بعث بها احمد المقتدر بن هود إلى يحيى المأمون بن ذي النون ، بمناسبة اطلاق سراح الاديب الشاعر عبد الملك ابن غصن الحجارى[4].

---

(1) ابن عذارى، البيان المغرب، ج٣، ص٢٨٠- ٢٨١- ٢٨٢.

(2) ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ص١٧٨.

(3) الذخيرة، ق٢، مج١، ج٢، ص١٩٣- ١٩٤.

(4) الحميدي، جذوة المقتبس، ص٤٠٢.

واستمرت حالة السلام مع طليطلة حتى وفاة يحيى المأمون عام (٤٦٧ هـ/١٠٧٤م) ومجيء حفيده يحيى القادر بالله إلى السلطة ولقد مرت طليطلة في عهد هذا الحفيد بحالة من الفوضى السياسية بسبب طيشه وقلة خبرته في إدارة شؤون البلاد ، ووقوعه تحت تأثير بعض رجال دولته ممن يؤثرون مصالحهم الذاتية على مصلحة البلد ، حيث أغروه بالاعتداء على حياة الفقيه أبي بكر ابن الحديدي ، ذلك الخبير المسؤول الذي عينه يحيى المأمون لإدارة شؤون الرعية وتقديم الرأي والمشورة لحفيده يحيى القادر ، وبعد مقتل الحديدي عام (٤٦٨ هـ / ١٠٧٦م) حاول القتلة ان يغتالوا يحيى القادر ايضاً ، وذلك بسبب ثار قديم بينهم وبين جده يحيى المأمون ، ولما علم بذلك فر من البلاد[1] ، فأصبحت الفرصة مناسبة أمام احمد المقتدر ، حاول استغلالها فقام بالاغارة على الجهات الشرقية من طليطلة بمساعدة سانشو راميرز ملك اراغون وانتزع منها منطقة شنتبرية (Santaver) وملينة (Molina)[2] كما شن عليها حاكم اشبيلية غاراته من جهاتها المغربية[3] ، ووصلت الحالة بيحيى القادر بالله إلى ان يستعطف الفونسو السادس ، ملك قشتالة ويذكره بالعلاقة الطيبة والخدمات التي قدمها له جده يحيى المأمون حينما كان الفونسو منفيا في طليطلة فاستجاب له الأخير وادخله في حمايته ، رغم محاولة الأهالي اخراج أميرهم المتخاذل من طليطلة بالقوة ، لكن جنود الملك القشتالي منعوهم ، واستخدموا في ذلك القتل ، والاسر واستباحة الحرمات[4] ، مما أدى إلى لجوء عدد كبير منهم إلى سرقسطة ، حيث استقبلهم بنو

---

(1) ابن بلقين، التبيان، ص٧٧؛ ابن بسام، الذخيرة، ق٤، مج١، ج٧، ص١٥٥- ١٥٦؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص١٧٨- ١٧٩-١٨٠، وانظر: عنان، دول الطوائف، ص١٠٥-١٠٦.

(2) تقع شنتبرية في شمال شرق طليطلة بالقرب من منابع نهر تاجو (Tago) وملينة المقصود بها حصن كونكا (Cuenca) شمال شرق طليطلة، ويعرف بملينة اراغون، انظر: ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٨٠، هامش رقم (٣)، (٤).

(3) المصدر نفسه، ص٨٤.

(4) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، مج١، ج٧، ص١٦٢ - ١٦٤؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص١٨١؛ ملوك الطوائف، ص٢٦٦- ٢٦٧؛ عنان، دول الطوائف، ص١٠٧.

هود واكرموهم وجادوا عليهم"[1].

وعندما اوشكت طليطلة على السقوط أمام جيش قشتالة ، احس يوسف المؤتمن الذي خلف اباه احمد المقتدر عام (٤٧٢ هـ / ١٠٧٩) بثقل المسؤولية التي ستقع على سرقسطة من جراء هذا السقوط ، كما ان الواجب الديني يقضي عليه ببذل اخر ما يملكه في كنانته من سهام لتاخير النهاية[2] ، لذلك قرر ان يفعل شيئاً ، فحاول نصب كمين يقضي من خلاله على الفونسو السادس وذلك انه اوعز إلى حاكم حصن روطة المنيع ان يتظاهر ضده وان يستدعي إليه الفونسو السادس لكي يتسلم منه الحصن بنفسه ثم يفاجئه بالاعتقال والاسر ولكن الفونسو ارتاب من الامر فلم يحضر بنفسه وارسل ولدى أخيه ملك نافار اللذين ربيا في بلاطه مع جماعة من اكابر قشتالة لتسلم مفاتيح القلعة ، وهناك انقض المسلمون عليهم وقتلوهم عن اخرهم[3] ، ولكن هذه العملية الجريئة لم تكن كافية لاضعاف المجابهة الاسبانية التي باتت في هذه المرحلة تشكل قوة بالغة قياساً لقدرات ملوك الطوائف الذين انهكتهم مشكلاتهم الداخلية الصغيرة ، واعاقتهم في مجال تصعيد السيادة العربية الإسلامية في اسبانية واضاعت عليهم فرصة الوحدة ، التي كان بامكانها وحدها ان تفشل مخططات العدو لهذا كان من السهل أمام هذه الظروف ان تسقط طليطلة عام (٤٧٨ هـ / ١٠٨٥م) على يد الفونسو السادس[4].

---

(1) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٨٤؛ وانظر: دوزى، ملوك الطوائف، ص٢٧١.

(2) التواتي، مأساة انهيار الوجود العربي، ص٢٦٣.

(3) اشباخ، تاريخ الأندلس، ص٥٨؛ التواتي، مأساة انهيار الوجود العربي، ص٢٦٣ - ٢٦٤؛ بروفنسال، الإسلام في المغرب والاندلس، ص١٨٤- ١٨٥؛ ويذكر حسين مؤنس ومحمد عبدالله عنان الرواية نفسها، لكنهم يختلفون معها في نوايا شخوصها؛ الثغر الأعلى، ص١٠٢؛ دول الطوائف، ص٢٧٥.

(4) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٨٥، ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٦٣.

ويعد سقوط طليطلة عاصمة الثغر الأوسط بمثابة الضربة القاصمة التي رجحت كفة قشتالة وكانت محنة حقيقية لما تمثله هذه المدينة من ثقل في حياة الأندلس السياسية والحربية[1] ، وقد عد المؤرخ ابن الأثير[2] ، سقوطها بداية للحملات الصليبية التي شنتها اوروبا على البلاد الإسلامية ، كما احدثت تاثيراً ايجابياً في العالم المعادي للجانب العربي الاسلامي ، رغم ان الفونسو السادس لا يستطيع ان يفخر بأنه استولى عليها بفضل شجاعته وقوة سلاحه ، إذ سقطت المدينة في الواقع نتيجة لمساومة سياسية بين القشتاليين وحاكمها المسلم ، وتلقب الفونسو بعد انتصاره هذا بالامبراطور ذي الملتين[3] الإسلامية والنصرانية(**Emperor of Tow Religions**)[4] ، وقام بشن غاراته العسكرية على الأراضي المجاورة لطليطلة[5] ، وبذلك اصبحت سرقسطة مهددة بالسقوط بحكم مجاورتها للمدينة المنكوبة[6] ، وفعلا شرع الفونسو بحصارها لمدة بضعة اشهر ولم يكف عن فك الحصار إلا بعد دخول المرابطين إلى الأندلس عام (٤٧٩ هـ/ ١٠٨٥م) [7] كما سياتي ذكره فيما بعد.

ب- طرطوشة

بعد ان استقر الوضع الداخلي في سرقسطة على يد احمد المقتدر بن هود ، حاول التوسع شرقاً نحو البحر المتوسط ، والحصول على مواقع بحرية جديدة ، فضلاً عن ميناء طركونة (**Tarragona**) وكان نظره متجها نحو ميناء طرطوشة ، المشهور بالتجارة والواقع عند مصب نهر ابرو ، الذي يمر عبر مدينة سرقسطة وبذلك تصبح

---

(1) الطاهر احمد مكي، دراسات اندلسية (القاهرة، دار المعارف ١٩٨٠) ص٢٥٣.

(2) الكامل في التاريخ، ج١٠ ، ص١٤٢.

(3) سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا العصور الوسطى، ج١ ، ص٥٤٤

(4) Kengsberger. History of spain Op. cit., vol 17. p 408.

(5) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٨٧ - ٨٨.

(6) التواتي، مأساة انهيار الوجود العربي، ص٢٦٤.

(7) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٩١- ٩٢؛ ابن أبي زرع، الانيس المطرب، ص١٤٥.

طرطوشة بابا من ابواب سرقسطة على البحر المتوسط تصل إليها التجارة البحرية عن طريق النهر المذكور[1].

وكان قد توالى على حكم هذا الميناء بعد الفتنة بعض فتيان بني عامر ، وأبرزهم لبيب العامري (ت ٤٣٣ هـ / ١٠٤١م) وقد حاولت حكومة بني تجيب أيام المنذر بن يحيى (الأخير) ان تستولي عليه ، وحصل بسبب ذلك معركة هزم فيها المنذر ، وفشلت محاولته[2].

وفي عهد بني هود حاول احمد المقتدر ان يضم طرطوشة إلى حكمه ، وقد جاءته الفرصة حينما ثار أهل المدينة على الفتى نبيل بسبب ميله نحو أمير برشلونة ريموند فأصبح موقفه حرجاً أمام ثورة الأهالي وتهديد حاكم سرقسطة ، عندها تنازل عن حكم طرطوشة إلى احمد المقتدر بن هود ، وذلك عام (٤٥٣هـ / ١٠٦١م) [3].

ج- دانية

وهي مدينة واسعة ، عامرة بالزراعة ، معروفة بصناعة السفن ، تقع في شرق الأندلس على البحر المتوسط ، أسسها الفينيقيون وسماها الرومان فيما بعد ، ديانيوم (Deianuom) وتحور اسمها في اللغة العربية إلى دانية ، وكانت تتبع كورة بلنسية من الناحية الادارية[4].

---

(1) حول موقع واقتصاد طرطوشة ، انظر: ابن حوقل، صورة الارض، ص١٠٥؛ البكري، المسالك والممالك، ص١٢٩ - ١٣٠؛ الادريسي، نزهة العشاق، ص١٩٠؛ ابن غالب، فرحة الانفس، ص٢٨٥- ٢٨٦.

(2) ابن عذارى، البيان المغرب، ج٣، ص٣٠٢؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص٢٣٦.

(3) ابن عذارى، البيان المغرب، ج٣، ص٢٥٠؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٦٣؛ تشركوا، مجاهد العامري، ص١٦١؛ عنان، دول الطوائف، ص٢٦٤.

(4) الادريسي، نزهة المشتاق، ص١٩٢؛ الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص٤٣٤؛ ابن غالب، فرحة الانفس، ص٢٨٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص٢٣١- ٢٣٢؛ تشركوا، مجاهد العامري، ص٢١١.

وأول من استقل فيها وفي الجزائر الشرقية المجاورة لها منورقة (Menorca) وميورقة (Mallorca) واليابسة (Ibiza) في عصر الطوائف، هو مجاهد العامري، احد كبار فتيان المنصور بن أبي عامر، ومن المشهورين في مجال المعارك البحرية والمشجع للعلوم والاداب[1] وخلفه في حكم دانية ابنه علي الذي ظهر اسمه لاول مرة في التاريخ الاندلسي عند ذكر حملة والده على جزيرة سردانية (Sardinia) حيث وقع فيها اسيراً بيد البيزيين (Pisani) الذين اهدوه إلى حليفهم ملك المانية هنري الثامن (Henry VIII) وقد سعى أبوه في اطلاق سراحه بفدية مالية وذلك عام (٤٢٣ هـ / ١٠٣١م) وكان علي حين اسر في السابعة من عمره[2].

وظهر بوادر العلاقة بين دانية وسرقسطة على اثر المصاهرة التي تمت بين اقبال الدولة علي بن مجاهد وابنة احمد المقتدر بن هود، وكان علي يعتقد ان سياسة المصاهرة انسب طريق لتحقيق استقرار بلاده، ومعرفة ما يجري حوله في دويلات الطوائف الأخرى، فزوج بناته للمعتمد بن عباد، حاكم اشبيلية وللمعتصم بن صمادح حاكم المرية[3] ولكن احمد المقتدر المعروف بطموحه وحبه للتوسع حتى على حساب أخوته، خيب ظنه في معتقده السياسي هذا، فيذكر ابن بسام[4]، ان احمد المقتدر خرج بجيش كبير طمعاً في السيطرة على بعض القلاع التي كانت بيد صهره ليضمها إلى ميناء طرطوشة، وكانت على ما يبدو ذات أهمية دفاعية، فاحدث ذلك قلقاً بالغاً لدى حكام دويلات الطوائف، واحتاطوا له، لا سيما حكام

---

(1) الضبي، بغية الملتمس، ص٤٥٧- ٤٥٨؛ المراكشي، المعجب في تلخيص اخبار المغرب، ص١٢٧. ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٥٥؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص٢١٧ - ٢١٨؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٦٤.

(2) ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص٢١٩- ٢٢١؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٦٤؛ تشركوا، مجاهد العامري، ص٢٥٣.

(3) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، مج١، ج٧، ص٢٦٦؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص٢٢٢؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٦٤؛ عنان، دول الطوائف، ص١٩٦- ١٩٧.

(4) الذخيرة، ق٤، مج١، ج٧، ص٢٦٦.

شرق الأندلس ، باستثناء علي بن مجاهد ، الذي استبعد مهاجمته نظراً للنسب الذي بينهما ، ولكن بعد ان تأكد من نوايا المقتدر وتحاشياً لتوسيع شقة الخلاف[1] ، كتب إلى عماله على تلك القلاع ان يتخلوا عنها للمقتدر وقد لامه جلساؤه والمقربون منه على قراره هذا ، وزينوا له مقاومة المقتدر فاذعن لرأيهم ، وأرسل كتاباً لاحقاً إلى عماله يامرهم فيه بالتحصن والاحتيال والمواجهة إذا لزم الامر ، وعندما علم المقتدر بخطة صهره ، فقل راجعاً إلى دانية وحاصرها وضيق عليها[2] ، مما احدث الارباك والجزع لدى أهلها ، فيذكر ابن بسام[3] ان عليا أرسل ابنه معز الدولة لمفاوضة المقتدر وإقناعه بفك الحصار ، وكان معز الدولة هذا يتصف بالليونة والترف وقلة الخبرة ، وكان يظن ان احمد المقتدر (جده) إنما جاء للاستيلاء على دانية في حين ان غاية الثاني كانت امتلاك بعض القلاع المجاورة لطرطوشة ولم يكن حصاره للمدينة الأمن قبيل التهديد لصهره الذي نقض عهده في تسليم تلك القلاع لذلك حاول معز الدولة ابن علي ان يستعطف جده متسائلاً .. وأين تنقلنا ؟ والى من تكلنا؟ ولم يفطن ابن هود لما قصده .... ولكن احد وزراءه واسمه ابن الريولة[4] نبهه إلى إمكانية اخذ المدينة بدون قتال وذلك لدواعي الاستسلام الذي أبداه معز الدولة بوصفه مفاوضاً عن والده الحاكم ، ولم يتأخر المقتدر في تنفيذ هذه الفكرة ، فشرع في دخولها ، وذلك عام (٤٦٨ هـ/ ١٠٧٥م)[5].

---

(1) عصام ، سالم ، جزر الأندلس المنسية ، ص١٨٥.

(2) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٣ ، ص٢٢٨؛ ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص٢٢٢.

(3) الذخيرة ، ق٤ ، مج١ ، ج٧ ، ص٢٦٧.

(4) ابن بلقين ، التبيان ، ص٧٧ ، هو أبو المطرف عبدالرحمن بن احمد ابن مثنى؛ انظر: ابن بسام ، الذخيرة ، ق٤ ، مج١ ، ج٧ ، ص٢٦٧ ، هامش رقم (٥).

(5) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٣ ، ص٢٢٨؛ ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص٢٢٢؛ ولكن بعض المصادر تذكر سنة الاستيلاء (٤٧٨ هـ / ١٠٨٥م) وهذا وهم ، لان المقتدر كان قد توفي قبل هذا التاريخ بست سنوات؛ انظر: ابن الاثير: الكامل في التاريخ ، ج٩ ، ص٢٩١؛ النويري ، نهاية الارب ، ج٢٣ ، ص٤٦٧؛ المكتبة الصقلية ، ص٢.

ويصور الأمير عبدالله بن بلقين[1] ، وهو معاصر للحدث ، مدى القلق الذي انتاب حكام الطوائف بعد سماعهم لنبأ استيلاء احمد المقتدر على دانية بقوله: "فان ابن هود اهتزت له الأندلس عند حصوله على دانية ، وجزع جميع الرؤساء لاخذه لها دون قتال ولا زمان ، واعد كل احد عدده متأهباً لشره إلى ان اراح الله منه وقبضه على فتنة واقتبال امل".

ولكن الذي يدعو إلى التساؤل هو كيفية استيلاء ابن هود على دانية خلال ليلة واحدة فقط[2] لاسيما ان المصادر الجغرافية[3] تصف مدينة دانية بالحصانة وكثرة المعاقل المنيعة وغناها بالاساطيل الحربية والتجارية المصنوعة محلياً كما يذكر العذرى[4] ان دانية حواليها سبخة تمتنع من ان يقربها علو بحصار.

وقد اختلفت المصادر التاريخية حول تلك الكيفية هل تمثلت بالقوة والغلبة؟ ام بالحيلة والمراوغة؟ فرواية العذرى[5] وهو معاصر للحدث توحي باستخدام القوة ، حيث تقول بان المقتدر غلب على دانية واعمالها واخرج علي بن مجاهد منها ، وصار بلد علي كله له ، ويشير الضبي[6] ، إلى الرواية ذاتها ، كما يوحي نص ابن عذارى[7] ، بذلك ايضاً حين يقول: اخرجه من بلاده واستولى عليها ، ثم حاصره بمدينة دانية وضيق عليه فيها ، حتى بادر إليه بارساله في ان يسلمه في نفسه واهله وولده ، ويسلم إليه ملكه ، وينزل عن قصره ويتركه له بفرشه ، فخرجت الرسل إلى

---

(1) التبيان ، ص٧٨.

(2) الذخيرة ، ابن بسام ، ق٤ ، مج١ ، ج٧ ، ص٢٦٨.

(3) الادريسي ، نزهة المشتاق ، ص١٩٢ ، الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٤٣٤؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص٢٣٢؛ ابن غالب ، فرحة الانفس ، ص٢٨٥؛ وانظر: ارشيبالد ، ر. لويس ، القوى البحرية ، ص٣١٢.

(4) نصوص عن الأندلس ، ص١٩

(5) نصوص عن الأندلس ، ص١٦؛ وانظر: مجهول ، الحلل الموشية ، ص٧٦.

(6) بغية الملتمس ، ص١٥٢؛ وانظر: القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج٥ ، ص٢٥٦.

(7) البيان المغرب ، ج٣ ، ص٢٢٨ ، وانظر: ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص٢٢٢.

المقتدر بذلك فقبل منه ، وامر برفع القتال عنه ، ويؤكد ذلك ايضاً المؤلف المجهول ، لكتاب ذكر بلاد الاندلس[1] ، فيقول: "ابن علي بن مجاهد اتاه المقتدر بن هود من سرقسطة فحصاره بدانية حتى دخلها عليه فاخذ بلاده واموالـه بسرقسطة فمات بها في الثقاف رحمه الله "[2] ، ويذكر ابن خلدون[3] ، حول هذه المسالة روايتين ، تشير الأولى إلى ان المقتدر اخرج عليا من دانية سنة (٤٦٨هـ/ ١٠٧٥م) ونقله إلى سرقسطة بينما تشير الثانية إلى انه فر أمام المقتدر إلى مدينة بجاية ، الواقعة بالمغرب الأوسط على ساحل البحر المتوسط.

ان كان ما اشرنا إليه من نصوص اعلاه تبدو غير منسجمة مع ما رواه ابن بسام[4] واكده ابن بلقين[5] بقوله: "ان ابن هود حصل على دانية بغفلة صاحبها عن الرجال وحبه في الأموال ، مع مدخلات اوتي بها من قبل وزيره ابن الربولة الخارج عنه إلى سرقسطة" ، إي ان عنصر المفاجئة والحيلة هو الاساس الذي من خلاله تمت السيطرة على دانية ، وهذا هو المرجح.

ويسأل احد الباحثين المحدثين[6] ، لماذا لم تصمد دانية للحصار بما عرف عنها من حصانة؟ لماذا لم تتحرك القوات البرية في حصون المملكة المجاهدية العامرية في شرق الأندلس لفك الحصار عن عاصمة المملكة ؟ لماذا توقف القتال بعد ليلة واحدة من هجوم ساحق وفي الصباح استسلمت المدينة ؟ ويحاول هذا الباحث ان يجد جواباً مقنعاً عن هذه التساؤلات ، فيقول: انه مما لاشك فيه ان هناك حلقة مفقودة في

---

(1) تحقيق وترجمة: لويس مولينا، ج١، ص٢١٧.

(2) معناه: الأخذ والأمر، انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة "ثقف، مج١، ص٣٦٥.

(3) العبر، ج٤، ص١٦٤ - ١٦٥.

(4) الذخيرة، ق٤/ مج١، ج٧، ص٢٧٦ - ٢٦٨.

(5) التبيان، ص٧٧ - ٧٨.

(6) سالم، جزر الأندلس المنسية، ص١٨٩.

سلسلة الاحداث ، ويبدو انه وجد طرفا منها فيما ذكره الأمير عبدالله بن بلقين[1] ، حول الوزير ابن الربولة ، حيث يذكر ان هذا الوزير قام بدور خطير في سقوط دانية بعد هروبه من دولة علي بن مجاهد والتحاقه وتعاونه مع ابن هود ، لان رجلاً مسؤولاً كهذا كما يعتقد سالم[2] لابد ان يكون له انصار داخل المدينة عملوا على تقديم التسهيلات المناسبة لاضعاف الدفاعات العسكرية للمدينة ، ثم انه على علم بدخائل الامور ونقاط الضعف في تحصينات المدينة ، ولهذا كانت نصيحته لاحمد المقتدر ان يقوم بهجوم مفاجئ ومن خلال ثغرات حددها بنفسه وبتنسيق مع بعض انصاره في الداخل والا لما سقطت مدينة دانية الحصينة بدون اية مشقة ، ويضيف سالم ، عاملاً رئيسياً اخر ضمن (الحلقة المفقودة) في سقوط دانية بهذه السرعة ، إلا وهو مقتل علي بن مجاهد في الساعات الأولى من الحصار ، معتمداً بذلك على رواية ابن بسام[3] ، التي تنفرد عن بقية المصادر حول هذا المصير.

وتجمع معظم المصادر[4] بالنسبة إلى مصير علي بن مجاهد ،انه استسلم للمقتدر بن هود وخرج معه إلى سرقسطة اسيرا ، حيث اقطعه فيها ما يكفيه بقية حياته التي انتهت بوفاته عام (٤٧٤ هـ / ١٠٨١م). ولكن ابن خلدون[5] يذكر رواية أخرى كما اشرنا قبل قليل تقول: بأنه فر أمام المقتدر إلى بجاية ونزل على صاحبها يحيى بن حماد ومات هنالك ويصف سالم[6] ، هذه الرواية بأنها غير منطقية ، ولايسندها الواقع ، ويعلل ذلك بقوله: لو صح فرار علي اقبال الدولة ، لكان لجأ إلى جزر البليار

---

(1) التبيان، ص٧٧- ٧٨.

(2) جزر الأندلس المنسية، ص١٩٠.

(3) الذخيرة، ق٣، مج١، ج٥، ص٨١.

(4) ابن بلقين، التبيان، ص٧٨؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج٣، ص٢٢٨؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص٢٢٢؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٦٤- ١٦٥؛ مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص٢١٧.

(5) العبر، ج٤، ص١٦٥.

(6) جزر الأندلس المنسية، ص١٩١.

التي ظلت على ولائها له ولاهله من بعده ، وهي اقرب إلى دانية من بجاية في المغرب الأوسط ، إلى درجة يمكن فيها مشاهدة جزيرة يابسة من جبل قاعون (Mongo) المحاذي لدانية بالعين المجردة.

وتعلل الباحثة تشركوا[1] ، مسالة عدم لجوء علي بن مجاهد إلى جزر البليار باحد امرين: أما بسبب ثقته العالية بتدخل حلفائه ومساندتهم له في محنته ، أو ان هجوم جيش سرقسطة كان مفاجئاً ، بحيث لم يترك مجالا لعلي في التفكير والذي يؤيد الاحتمال الأول حسب رأي الباحثة ان المعتصم بن صمادح (٤٤٣ — ٤٨٤ هـ / ١٠٥١ — ١٠٩١ م) حاكم المرية ، أرسل رسالة إلى المقتدر يطلب منه الانسحاب من دانية ، ويؤيد الاحتمال الثاني ، ما ذكره الأمير عبدالله في مذكراته ، ان هجوم المقتدر بن هود على دانية حصل بغفلة من صاحبها علي بن مجاهد.

أما عن مصير سراج الدولة بن علي بن مجاهد ، فيذكر ابن الابار[2] ، انه كان حاكماً لمعقل شقورة ، نيابة عن والده ، ولما استولى احمد المقتدر على دانية واخرج اباه منها ، استقل في حكمه لشقورة وضبط امرها ، وحاول في الوقت نفسه ان يسترد ملك أبيه ، فاستعان بحاكم برشلونة الكونت برنجير ، الذي امده بالمساعدات مقابل شروط محددة ، وبالفعل استرجع له بعض الحصون ، لكن احمد المقتدر كان له بالمرصاد ، وقيل انه استطاع ان يدس عليه من يغتاله بالسم ، فتوفي عام (٤٦٩ هـ/ ١٠٧٦م) إي بعد عام من خلع ابيه[3] ، ولم يذكر ابن الابار عن وفاة سراج الدولة انه مات مقتولاً بل ذكر ان موته كان طبيعياً ، وتولى شؤون شقورة من بعده والاشراف على اهله عبدان من عبيد أبيه كانا من سبي سردانية[4].

---

(1) مجاهد العامري، ص٢٦٩.

(2) الحلة السيراء، ج٢ ، ص١٤٩.

(3) ابن خلدون، العبر، ج٤ ، ص١٦٥؛ وانظر: عنان، دول الطوائف، ص٢٠٠.

(4) ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢ ، ص١٤٩.

وكانت ابرز النتائج التي حصلت عليها دويلة سرقسطة بعد استيلاء ابن هود على دانية ، هو توسعها الجغرافي في شمال شرق الأندلس ، بحيث ضمت موقعا بحريا مهما ، فضلاً عن طركونه وطرطوشة ، كما حصلت على دار مهمة لصناعة السفن بانواعها ، زيادة على الأراضي الزراعية الخصبة التي تغطي مساحات كبيرة من منطقة دانية واستغلال القلاع والحصون المهمة فيها للاغراض العسكرية الدفاعية ، ويخص الأمير عبدالله بن بلقين[١] ، مدينة دانية بوفرة الأموال التي كان مصدرها حرص علي بن مجاهد الشديد عليها ، والهدايا الثمينة التي جاءته من مصر ، مقابل المساعدة الغذائية التي قدمها لها في أثناء الضائقة الاقتصادية التي تعرضت لها عام (٤٤٧ هـ / ١٠٥٥م)[٢] ، وقد ساعدت هذه العوامل على تطور وضع دويلة سرقسطة ، وأصبحت قوة يحسب لها حسابها ، الأمر الذي زاد من ثقة احمد المقتدر في السيطرة على بقية دويلات الطوائف المجاورة له ، يقول ابن بلقين[٣] ، ان ابن هود لما حصل على دانية. أدركته الرغبة في البلاد. وطمع في بلنسية وسنرى في المبحث الاتي مصداقية هذا الكلام.

د- بلنسية

انتقد أهل سرقسطة احمد المقتدر بن هود انتقادا لاذعا بعد سيطرته على مدينة دانية ، وذلك بسبب تجاوزه عن مدينة بلنسية التي باتت تشكل موقعاً وسطاً ، فاصلاً بين طرطوشة ودانية ، وكان من المفضل ، حسب رأي أهل سرقسطة ان يتم الاستيلاء عليها قبل دانية ، وذلك لقربها من سرقسطة فضلاً عن كثرة خيراتها وسهولة السيطرة عليها ، مقارنة بمدينة دانية[٤].

---

(1) التبيان، ص٧٧- ٧٨.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٨٨؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص٢٢١- ٢٢٢، المقريزي، اغاثة الامة، ص٢٠- ٢١.

(3) التبيان، ص٧٨.

(4) اطلقوا عليه مثلا ساخرا يقول: عجز عن الايم ونكح المزوجة، انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق٣، مج١، ج٥، ص٤٢- ٤٣.

ويبدو ان هذا الموقف الشعبي ، شكل حافزاً اضافياً لحاكم سرقسطة ولابنائه من بعده ، دفعهم حثيثاً للسيطرة على بلنسية ، تلك المدينة التي وصفها العذرى[1] ، بأنها جمعت البر والبحر والذرع والضرع والفواكه ، ولها سهل وجبل ومدن كثيرة وحصون ، ويصف ابن غالب[2] ، مرساها البحري بأنه من اعجب المراسي.

لذلك قرر احمد المقتدر الاستيلاء على المدينة ، لكنه تريث في تنفيذه قراره حتى يستأذن حليفه القشتالي ، القوى ، الفونسو السادس ، ويقال انه دفع له مائة الف (١٠٠,٠٠٠) دينار مقابل السماح له بالسيطرة على بلنسية[3].

وقد يبدو أمراً غريباً ان يستاذن حاكم سرقسطة من الفونسو السادس ويدفع له المبالغ الطائلة من الدنانير الذهبية من اجل السماح له بالسيطرة على بلنسية ، في حين استولى على ميناء دانية الأكثر أهمية ، ولم يستاذن احدا من ملوك الأسبان.

ويمكن تفسير ذلك ان احمد المقتدر اراد ان لا يثير توسعه وقوة دولته ، هواجس منافسه القشتالي الفونسو السادس ، الذي يتربص باحوال الأندلس ، ويتمنى لها الضعف حتى يتمكن من السيطرة عليها ، وبهذا يكون احمد المقتدر قد استخدم سياسة ذكية يمكن ان تقنع الفونسو السادس بقوته ، وطاعته له ، وفي الوقت نفسه تتيح لدويلة سرقسطة التوسع على حساب بقية دويلات الطوائف.

وتبدو صحة هذا الأمر من سير الاحداث حيث ان حاكم بلنسية ابا بكر بن محمد بن عبدالعزيز القرطبي (٤٦٨ – ٤٧٨ هـ / ١٠٧٥ –١٠٨٥ م) ، عندما رأى نفسه عاجزاً عن مواجهة تهديد حاكم سرقسطة بجيش قشتالة ، شرع في الخروج بمفرده من غير جيش ولا حرس لمقابلة الفونسو السادس ، واجراء الحوار المناسب المقرون

---

(1) نصوص عن الأندلس، ص١٨.

(2) فرحة الانفس، ص٢٨٥.

(3) ابن بلقين، التبيان، ص٧٨؛ ابن بسام، الذخيرة، ق٣، مج١، ج٥، ص٤٣؛ وانظر: عنان الذي يشيروا واهماً إلى ان هذا الحلف حصل في عهد المؤتمن بن احمد المقتدر؛ دول الطوائف، ص٢١٦.

بتقديم الولاء والطاعة له ، ويذكر ابن بسام[1] ، ان حاكم بلنسية استطاع بكلامه اللين ان يقنع الفونسو السادس بالانسحاب من بلنسية نحو بلاده ، وبذلك خسر المقتدر البلد والرهان معاً.

ولكن هذه الرواية ينقصها المنطق السياسي الذي اتبعه حاكم قشتالة في تعامله مع الحكام المسلمين انذاك ويقضي بالاستنزاف المالي والاقتصادي لدويلاتهم وبالتالي السيطرة عليها[2]. فليس من المعقول ان يستجيب مثل هذا المنطق لنداء لين من حاكم ضعيف ، ويصم اذنيه عن رنين الدنانير الذهبية المتبقية من المبلغ المتفق عليه. ولكن الرواية تبدو معقولة ومنطقية فيما لو اعتقدنا ان الفونسو السادس تنبه إلى سياسة احمد المقتدر المذكورة انفاً ، وخاف من احتمال تزايد قوته البرية والبحرية بعد ان يستولي على بلنسية ، فيصبح معظم الشريط الساحلي لشرق الأندلس المطل على البحر المتوسط تحت سيطرة بني هود ، وبالتالي ربما يفكر احمد المقتدر بالسيطرة على مقاليد السلطة في عموم الأندلس وتعود الوحدة الأندلسية بقيادة واحدة تقف في مواجهة المجابهة الاسبانية المعادية للسيادة العربية الإسلامية في الأندلس ، وبذلك تفشل المشاريع الصليبية القشتالية وغيرها من الممالك الاسبانية.

وبعد وفاة احمد المقتدر عام (٤٧٢ هـ / ١٠٧٩ م) لم يتمكن ابنه يوسف المؤتمن الذي تولى السلطة من بعده ، ان يبلغ القوة التي وصل إليها والده وذلك بسبب سياسة ولاية العهد التي قسمت دويلة سرقسطة بينه وبين أخيه المنذر بن المقتدر الذي تولى حكم دانية وطرطوشة ولاردة ، ولم يفلح يوسف المؤتمن واخوه في السيطرة على بلنسية وذلك لتنافسهما حول ذلك كل بمفرده مما أدى إلى تشتت قواهما وبالتالي فشلهما في السيطرة على المدينة.

---

(1) الذخيرة، ق٣، مج١، ص٤٣.

(2) ابن بلقين، التبيان، ص٧٧ - ٧٨؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٨٣؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج٣، ص٢٨٢؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص٢٤٤.

ولكي يأمن أبو بكر بن عبد العزيز من تهديد يوسف المؤتمن شرع في اتباع سياسة المصاهرة حيث وافق على زواج ابنته إلى احمد المستعين بن المؤتمن وذلك عام (٤٧٧ هـ / ١٠٨٤م) ورأى يوسف من جانبه ان هذه المصاهرة قد تكون سبيلاً لضم بلنسية إلى دويلة سرقسطة[١].

وقد شهدت بلنسية وضعاً سياسياً قلقاً كان انعكاساً لسقوط طليطلة عام (٤٧٨ هـ/ ١٠٨٥م) وحدث ان توفي في هذه السنة حاكم بلنسية أبو بكر ابن عبد العزيز فخلفه في حكمها انه أبو عمرو بن عثمان الذي حكم تسعة اشهر فقط، ويبدو انه لم يكن بمستوى الحنكة السياسية التي بلغها أبوه، حيث وقف عاجزا أمام الانشقاق السياسي الذي حصل في بلده نتيجة للتعويض الذي حصل عليه حاكم طليطلة القادر بن ذي النون الذي مفاده: ان يحكم بلنسية مقابل تنازله عن طليطلة للفونسو السادس. وادى ذلك إلى انقسام أهل بلنسية إلى قسمين:

- الأول: رأى ان تنظم بلنسية لحكم احمد المستعين وهو نسيب حاكمها أبو عمرو بن عثمان.

- والثاني: انحاز نحو القادر بن ذي النون، ربما بسبب الخوف من جيش قشتالة المساند له ولم يدع ابن ذي النون الفرصة تمر حتى سار نحو بلنسية تحت حماية جيش قشتالي بقيادة البرهانس[٢] (Alvar Hanez) وهو من قواد الفونسو فادخله أهلها فيها خوفا من الحصار[٣] الذي قد يفرض على المدينة

---

(1) ابن خاقان، قلائد العقيان، ص٦٩؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٨١؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج٣، ص٣٠٤؛ عنان، دول الطوائف، ص٢١٦.

(2) في بعض الروايات (البارهانش أو البارهاتش)، وهو ابن اخي السيد الكمبيادور، انظر: ابن بلقين، التبيان، ص١٢٢- ١٢٣؛ ابن القطان، نظم الجمان، ص٦، وهامش رقم (٢)، من الصفحة نفسها.

(3) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٨٧.

فيما لو حصلت مقاومة من جانبهم[1] ، وبهذا يكون بنو هود قد خسروا جولة أخرى من اجل الاستيلاء على بلنسية.

وكان دخول المرابطين إلى الأندلس عام (٤٧٩ هـ / ١٠٨٦م) بناء على استغاثة بعض حكام الطوائف بعد سقوط طليطلة عام (٤٧٨ هـ / ١٠٨٥م) قد غير ميزان القوى فيها لصالح المسلمين[2]. حيث انسحب البرهانس وجيشه من بلنسية[3] ، بناء على اوامر سيده القشتالي الفونسو السادس ، الذي حاول جمع قواته استعداداً لمواجهة وفي ظل هذه الظروف بقي ابن ذي النون وحده يواجه النزاع السياسي الداخلي وكان المنذر بن المقتدر بن هود ، هو الراغب هذه المرة في الاستيلاء على بلنسية لان موقعها يفصل مملكته الساحلية (طرطوشة ودانية) فجهز لذلك جيشا ضم مرتزقة من برشلونة وحاصر بلنسية ، وكان ابن ذي النون قلقا وعاجزاً أمام هذا الحصار الذي كان يلقي دعماً من قبل الأهالي الرافضين لحكمه المتعاون مع الفونسو فقرر الاستسلام لولا مشورة محمد ابن احمد بن اسحاق المعروف بابي عبدالرحمن بن طاهر حاكم مرسية (٥٠٨ هـ / ١١١٤م) اللاجيء إلى بلنسية[4] ، بعدم التسرع في اتخاذ مثل هذا القرار ، ونصحه اياه بالاستعانة باعداء المنذر ، وهما الفونسو السادس ، واحمد المستعين ابن أخيه يوسف المؤتمن ، وكان الأخير ينتهز الفرص من اجل

---

(1) حول مسالة دخول القادر مدينة بلنسية ، انظر : ابن بلقين ، التبيان ، ص٧٧؛ ابن بسام ، الذخيرة ، ق٣ ، مج١ ، ج٥ ، ص٩٢- ٩٣؛ ابن الكردبوس ، تاريخ الأندلس ، ص٨٤- ٨٥- ٨٦؛ ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٣ ، ص٣٠٤؛ ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص١٨٢؛ عنان ، دول الطوائف ، ص٢١٧ - ٢١٨.

(2) ابن بلقين ، التبيان ، ص١٠١ - ١٠٢؛ ابن الكردبوس ، تاريخ الأندلس ، ص٨٩ - ٩٠؛ ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص٢٤٣ - ٢٤٤- ٢٤٥.

(3) بروفنسال ، الإسلام في المغرب والاندلس ، ص١٨٦.

(4) خلع بعد سيطرة ابن عباد على مرسية والتحق لاجئا إلى بلنسية ، انظر : ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ص٥٨ - ٥٩؛ ابن الابار ، الحلة السيراء ، ج٢ ، ص١٢٤؛ ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص٢٠١.

السيطرة على بلنسية ، يشجعه في ذلك نسبة من حاكمها السابق أبو بكر بن عبد العزيز ووجود انصار له في داخل المدينة[1].

وتشير رواية ابن الكردبوس[2] إلى ان احمد المستعين اتفق مع السيد الكمبيادور بالاستيلاء على بلنسية ، ويقضي الاتفاق الذي عقد بينهما ، ان يكون حكم المدينة لاحمد المستعين ، والغنائم والذخائر والاموال للكمبيادور ، لكن قوة جيش الثاني المكون من ثلاثة الاف (٣٠٠٠) جندي ، مقابل اربعمائة (٤٠٠) جندي فقط بقيادة احمد المستعين حسبما تذكر الرواية توحي بان القسمة التي تمت وفق ذلك العقد تبدو غير عادلة وفق المقاييس التي انطلق منها الجانبين وبالتالي يمكن القول: أما ان تكون الارقام في غير موضعها إي ان تكون قوة حاكم سرقسطة هي صاحبة الرقم الكبير ، أو ان الاتفاق هو بالشكل الذي رواه عنان في الفكرة التالية ، ولم يذكر مصدرها ، ولكن يبدو انه استوحاها من ابن بسام[3] ، وهي: ان المستعين دعا السيد إلى مرافقته في جيشه لاغاثة بلنسية دون ان يقضي إليه بنيته في الاستيلاء على المدينة ، وقدم إليه اموالاً جليلة ، لكي يحشد لها القوات اللازمة[4] ، ولما علم المنذر بن احمد المقتدر بقدوم ابن أخيه وحليفه الكمبيادور رحل عنها ولم يحل بطائل منها[5].

وبدأ الكمبيادور في هذه المرحلة يفكر في العمل لحسابه محاولاً السيطرة على بلنسية بنفسه ليكون حاكمها المطلق يساعده في ذلك ضعف المسلمين واستعانتهم به ، وربما كان ذلك تنفيذا لخطة رسمها مع سيده حاكم قشتالة الفونسو السادس ،

---

(1) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٩٨؛ عنان، دول الطوائف، ص٢١٩.

(2) تاريخ الأندلس، ص٩٨؛ وانظر: حسين مؤنس، السيد القمبيطور، ص٥٣- ٥٥.

(3) يروي ابن بسام، أن احمد المستعين استخدم الكمبيادور وانه " وطأ له اكناف بلنسية وجبى إليه المال .. "، انظر: الذخيرة، ق٣، مج١، ج٥، ص٩٥.

(4) عنان، دول الطوائف، ص٢٢٥.

(5) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٩٨.

لضم شرق الأندلس إلى املاكه[1] ، حيث بعث الكمبيادور برسالة إلى سيده اكد له فيها حسن نواياه وانه في سيطرته على أراضي الأندلس إنما يقوم بواجب الحرب على الكفرة فاذن له الفونسو بان يجول بفرسانه حيث شاء في أراضي العرب المسلمين وعندما علم احمد المستعين بخطة الكمبيادور غير تحالفه وعقد اتفاقا مع برنجير أمير برشلونة عدو الكمبيادور ، للعمل على محاصرة بلنسية لكن محاولته باءت بالفشل بسبب قوة جيش خصمه[2].

ودخل الكمبيادور بلنسية واصبح حاكمها الفعلي ووضع القادر بن ذي النون تحت حمايته مقابل أموال طائلة[3] ، وهذا ما اغضب أهل بلنسية ، وجعلهم يفكرون في القضاء عليه ، فانتهزوا فرصة غياب الكمبيادور عن المدينة ، وقاموا بانتفاضة عام (٤٨٥ هـ / ١٠٩٢م) قتل في أثنائها ابن ذي النون بامر من القاضي عبد الرحمن بن جحاف[4] ، الذي ترأس حكومة بلنسية. عندما سمع الكمبيادور بذلك قدم إلى بلنسية وحاصرها عشرين (٢٠) شهرا[5] فضايقها مضايقة شديدة.. وقطع عنها المرافق ، ونصب المجانيق ونقب الاسوار وعدم الناس الطعام .. وكان المرابطون قد خرجوا من الأندلس إلى العدوة[6] ، وعندما لم يجد أهل بلنسية ناصرا استسلموا للعدو.

ومما يؤسف له حقا ، ان حكام دويلات الطوائف لم يقدموا اية مساعدة لاخوانهم البلنسيين وقد وصلت رسائل الاستغاثة إلى حكومة سرقسطة إلا ان

---

(1) المؤلف سالم، تاريخ مدينة المرية، ص٨٣.

(2) عنان، دول الطوائف، ص٢٢٦ - ٢٢٧.

(3) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص١٠٣، عنان، دول الطوائف، ص٢٢٨؛ مؤنس، السيد القمبيطور، ص٥٦.

(4) هو ابن المطرف عبد الرحمن بن عبدالله بن عبد الرحمن بن الجحاف المعافري من بيت علم ورئاسة، يتداول القضاء؛ انظر: ابن الابار، اعتاب الكتاب، ص٢٧٦.

(5) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص١٠٣؛ مؤنس، السيد القمبيطور، ص٦١- ٦٢.

(6) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٣٠٥.

احمد المستعين ، رغم شجاعته ، كان يرد على خطاباتهم بالتسويف والمطل[1] ، وليس هذا حسب بل ان احمد المستعين لم يقدم على فعل إي شيء إزاء القرار الذي اتخذه الكمبيادور عام (٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) حيال القاضي ابن جحاف ، الذي يقضي باحراقه حيا حتى الموت رغم طلب وجهاء بلنسية للنجدة والتدخل في سبيل منع ذلك من قبل حاكم سرقسطة[2].

(1) ابن عذارى، البيان المغرب، ج٤ ، ص٣٩.

(2) المصدر نفسه، ص٣٩؛ وانظر: ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص٢٠٤.

الفصل الثالث

العلاقة مع الممالك الاسبانية

أ- المجابهة الاسبانية للسيادة العربية الإسلامية في الأندلس

ب- أساليب الممالك الاسبانية في مجابهة السيادة العربية الإسلامية في سرقسطة



التمهيد

أ ـ المجابهة الاسبانية
للسيادة العربية الإسلامية في الأندلس

يذكر صاحب كتاب أخبار مجموعة[١] ان المسلمين فتحوا اغلب مناطق جليقية (Galicia) الواقعة في الركن الشمالي الغربي من اسبانية ، ماعدا منطقة صغيرة تسمى الصخرة (picos de Europa) حيث استصغر الفاتحون شأنها لعدم أهميتها الحربية والعمرانية ، وكان قد لجأ إليها زعيم يسمى بلاى (Pelayo) مع نفر من أتباعه ، استطاعوا فيما بعد ان يشكلوا قوة كبيرة جابهت السيادة العربية الاسلامية في عموم منطقة جليقية ، واستطاعت ان تخرج المسلمين منها[٢].

ويمكن ان تعد هذه القوة بمثابة النواة الأولى التي شكلت فيما بعد الممالك الاسبانية الشمالية ، واستمرت في مجابهة السيادة العربية الإسلامية للأندلس ، وقد أطلقت عليها المصادر الاوربية[٣] ، مصطلح (حركة الاسترداد La Recoquista) وقد تطورت هذه الحركة ، واتخذت ابعادا خطيرة ، لا سيما في أثناء ضعف الدولة العربية

---

(1) مجهول، ص٢٨؛ وانظر: حسين مؤنس، بلاي وميلاد اشتريس، ص٥٧؛ دروثني لودر، اسبانيا، ص٥٩.

(2) ابن عذارى، البيان المغرب، ج٢، ص١٢ - ١٣.

(3) Koenigsbeger, History of spain Op.Cit., vol.1 7.P.408. Watt,Op.Cit.,O.93

الإسلامية في الأندلس ، بينما ضعفت وقلت أهميتها أيام قوة الدولة ، لاسيما في عصر الخلافة الأموية. وحينما حل عصر الطوائف في الأندلس الذي هو عصر تجزئة سياسية وعسكرية كانت الممالك الاسبانية الشمالية تسير نحو القوة والوحدة ، حيث وحد فرنادنو الأول مملكتي (قشتالة وليون) واتحدت مملكتا (اراغون وسوبرابي) الصغيرتان[1] ، وهكذا تغير ميزان القوى في شبه الجزيرة الأيبيرية ، وغدت الممالك الاسبانية هي الأقوى[2] ، وقامت بإتباع عدة أساليب من أجل مجابهة السيادة العربية الإسلامية في الأندلس ، وسيكون الحديث مركزا على سرقسطة وتوابعها بوصفها موضوع البحث.

(1) اشباخ، تاريخ، ص١١.

(2) قارن: الحجي، التاريخ الاندلسي، ص٣٢٦ - ٣٢٧.

ب- أساليب الممالك الاسبانية في مجابهة السيادة العربية الإسلامية في سرقسطة

١- الاستنزاف الاقتصادي:

لم يحدث هذا الأسلوب بمعزل عن النزاعات العسكرية الداخلية لدويلات الطوائف، بل كان السبب الرئيس الذي شجع ملوك الأسبان على التدخل العسكري لصالح هذا أو ذاك من الحكام المسلمين، وبالتالي فرض الاتاوات المالية الضخمة عليهم كما حصل أثناء الصراع بين سليمان بن هود حاكم سرقسطة ويحيى المأمون بن ذي النون حاكم طليطلة حيث استعان كل منهما بفرناندو الأول ملك قشتالة وتنافسا في طلب مساعداته مقابل دفعهم الأموال الطائلة له والسماح له بالعبث في أراضي كل منهما[1].

وتهدف سياسة الاستنزاف الاقتصادي التي استخدمها الفونسو السادس إلى إضعاف دويلات الطوائف، وبالتالي السيطرة عليها[2]، وقد صور ابن بلقين[3]، في مذكراته هذه السياسة اصدق تصوير، وهو يتحدث بلسان حال الفونسو، قائلاً: "ولكن الرأى، كل الرأي تهديد بعضهم ببعض واخذ أموالهم ابدا، حتى ترق

(1) ابن عذارى، البيان المغرب، ج٣، ص٢٨٠ - ٢٨١- ٢٨٢.

(2) دوزى، ملوك الطوائف، ص٢٦٦.

(3) التبيان، ص٧٣.

وتضعف ثم هي تلقى بيدها إذا ضعفت وتأتي عفوا كالذي جرى بطليطلة إنما كان من فقر أهلها وتشتتهم مع اندثار سلطانها وصارت الي بلامشقة" ولقد مر بنا كيف ان محاولات بني هود في الاستيلاء على بلنسية كلفتهم مبالغ طائلة فدفعوها إلى الفونسو وغيره من أعداء الأندلس[1].

ويوضح ماكاى[2] (Mackay) أهمية هذا الاستنزاف الاقتصادي بالنسبة للمالك الاسبانية ، حيث يذكر: ان حكامها درجوا مسالة الاتاوة (Parias) التي قبضوها من المسلمين في وصاياهم. فعلى سبيل المثال وزع فرناندو الأول ملك قشتالة وليون (Leon and Castile) (٤٢٩ – ٤٥٨هـ/ ١٠٣٧ -١٠٦٥م) الاتاوات العائدة إليه من ممالك بين أبنائه بالشكل الاتي: فملك سانشو ، قشتالة مع ما يدفع من الاتاوة من سرقسطة ، واعطي الفونسو ، مملكة ليون مع الاتاوة التي تدفعها طليطلة ، وجعل غرسية (Carcia) على جليقية مع الاتاوة التي تدفعها اشبيلية وبطليوس. ومن الصعب احصاء المبالغ المستحصلة من هذه الاتاوات ، ولكن من المؤكد أنها ضمت الكثير ، فعلى سبيل المثال كان الدخل الناتج من الاتاوة قد مكن كونت رامون برنجير الأول أمير برشلونة من انفاق عشرة الاف (١٠,٠٠٠) اونس من المعادن الثمينة في غصون عشر سنوات ، وكان الكمبيادور يستلم سنوياً ما يقارب اثني عشر الف (١٢,٠٠٠) دينار مقابل خدمته في جيش بني هود.

ومن الجدير بالذكر ان البابوية كانت تتسلم قسطا من هذه الاتاوات ، حيث يذكر اشباخ[3] ان عشر المبالغ التي كان يحصل عليها راميرو الأول ملك اراغون من سرقسطة وتطيلة كانت ترسل إلى روما ، لكي تبقي اراغون تحت حماية البابا.

---

(1) انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق٣، مج١، ج٥، ص٤٢.

(2)1000-1500 **Spain in the Middle Ages from frontier to Empire, 17-18-19. p.**

وانظر: لويس، القوى البحرية والتجارية، ص٣٧٢.

(3) تاريخ الأندلس، ص١٦.

ولعل العزلة التي اصابت سرقسطة نتيجة لكارثة سقوط طليطلة كانت سببا لاستمرار حكام بني هود في بذلهم للاموال الطائلة إلى الملوك الأسبان، اتقاء لشرهم والا فان الوضع العسكري والسياسي لاسيما في عصر احمد المستعين، قد نضج لصالح السيادة العربية الإسلامية في التصدي للهجمات الاسبانية، بحيث لا يسمح بتقديم المزيد من الاتاوات، ولكن يبدو انه لا فائدة اصبحت ترجى من هذا النضج، طالما جاء متاخراً وفي مرحلة مل العدو فيها من اخذ الاتاوة "ولم يقنع إلا باخذ البلاد وانتزاعها من ايدي المسلمين" [1].

٢- الهجوم العسكري:

يبدو من خلال اشتراك عدة قوى أوروبية من خارج شبه الجزيرة الأيبيرية في الهجوم المسلح العنيف المتكرر على سرقسطة وتوابعها مثل بربشتر ووشقة وتطيلة، فضلاً عن المجابهة الاسبانية للسيادة العربية الإسلامية، ان المسالة لم تكن اسبانية محلية، بل اكبر من ذلك بكثير ،لاسيما بعد مباركة البابوية وتشجيعها لها، ويمكن القول أنها كانت اوروبية عامة متزامنة مع الحملات الصليبية التي شنتها اوربة على بلاد الشام ومصر.

وكانت سرقسطة البوابة المنيعة التي لا يمكن للمجابهة الاسبانية ان تنهي سيادة الإسلام على الأندلس إلا بتحطيمها بضربات قوية ومتواصلة، وهذا ما حصل فعلا كما سنلاحظ في المواجهات الآتية:

---

(1) ابن عذارى، البيان المغرب، ج٣، ص٢٣٩.

- **مأساة بربيشتر (٤٥٦هـ / ١٠٦٤م):**

تذكر المصادر العربية[1] ان الاردمانيين، (النورمان Normans) [2] والفرنسيين من أهل (غالة Caul) [3] تقدموا بجيش كبير قدر باربعين (٤٠) الف مقاتل نحو مدينة وشقة إحدى قواعد سرقسطة المهمة، وحاولوا احتلالها لكنها استعصت عليهم، فاتجهوا شرقاً نحو بربشتر، وهي لا تقل منعة عن وشقة، وتبعد حوالي ستين(٦٠) كم شمال شرق سرقسطة وكانت انذاك تابعة للمظفر يوسف بن هود الذي كان مشغولا في نزاعه مع أخيه احمد المقتدر حول ولاية العهد، الأمر الذي فسح المجال أمام العدو ليقوم بمحاصرتها، ودام حصاره لها اربعين(٤٠) يوماً عانى خلالها أهل بربشتر من القلق والخوف، حيث قل الطعام والماء ويئسوا من الحياة.

ويروى ابن بسام[4]، نقلاً عن ابن حيان المعاصر لهذه الاحداث، صوراً مؤلمة عن المعاناة التي لاقاها الأهالي من شدة وطأة الحصار عليهم، حيث يذكر ان النساء كن يصعدن إلى أعالي سور المدينة، وينادين من يدنو منهن من جنود الأعداء، وقد علقن انية بحبال مولاة نحوهم ويتوسلن بهم في سبيل جرعة ماء لهن ولأطفالهن وكان جنود العدو يقايضون إناء الماء بما لديهن من مال أو حلية أو كسوة ويبدو ان شحة

(1) البكري، المسالك والممالك، ص٩٢- ٩٤؛ ابن بسام، الذخيرة، ق٣، مج١، ج٥، ص١٨١؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٧١- ٧٢- ٧٣؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج٣، ص٢٢٤ - ٢٢٥- ٢٢٦- ٢٢٧؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص١٧١؛ مجهول، الحلل الموشية، ص٧٦؛ وانظر: دوزي، ملوك الطوائف، ص١٧٦- ١٧٧- ١٧٨؛ عنان، دول الطوائف، ص٢٦٤ - ٢٦٥؛ ليفي بروفنسال، الحضارة العربية في اسبانيا، ص١٢٤، تأثير الإسلام على أوروبا، ص٨٢- ٨٣.

(2) وهم الذين استقروا في نورمانيديا (Normandia) الفرنسية، بموافقة الملك الفرنسي شارل الابله (Charles Le Simple) وقد خرجوا بهذه الحملة لغرض المغامرة والكسب، انظر: عنان، دول الطوائف، ص٢٦٤؛ ابن الابار الحلة السيراء، ج٢، ص٢٤٧، هامش رقم (٢).

(3) تطلق في الرواية الإسلامية على جنوب فرنسة وقد تشمل أكثر من ذلك، انظر: البكري، المسالك والممالك، ص٩٣، هامش رقم (١).

(4) الذخيرة، ق٣، مج١، ج٥، ص١٨٣.

الماء كانت بسبب إغلاق العدو لمصدره[1].

وعندما لم يتقدم إي من الأخوين الحاكمين ، احمد المقتدر ويوسف المظفر بأية مساعدة لإنقاذ هذا الوضع المأساوي بسبب انشغالهم بنزاعهم الداخلي ، اضطر أهل المدينة إلى تسليمها مقابل الأمان على حياتهم ، مجردين من كل شيء ليخرجوا بعيداً عن المدينة ، فوافق العدو على ذلك لكنه نقض عهده ، وقام بقتل واسر ما يقارب مائه الف (١٠٠,٠٠٠) منهم . ولم ينج حتى الأسرى من القتل بعدما رأى العدو ان عددهم بات كبيرا ، كما لم ينج أهل بربشتر من الموت ، حتى بعد ان اذن لهم بالخروج من المدينة ، حيث مات منهم الكثير لاسيما الشيوخ والأطفال وذلك بسبب الازدحام الشديد الذي ضاقت به أبواب سور المدينة ، مما جعل الكثير منهم يتدلون بالحبال من أعالي السور فرارا من الازدحام على الأبواب وتسابقا إلى شرب الماء ونودى فيهم مرة أخرى بالرجوع إلى ديارهم ، ونال منهم الازدحام ما ناله في أثناء خروجهم ولما استقروا قسم العدو ديارهم بما فيه من النساء وأولاد ، غنائم باردة[2].

وتشير المصادر العربية[3] إلى ان هذه الحملة خرجت من فرنسة ، إي أنها كانت صليبية ويؤيد ذلك معظم المراجع الأوروبية الحديثة[4] ويرى المؤرخ هـ و . ديفز (Dives)[5] "ان الخوف من تقدم المسلمين" كان من الحوافز الأساسية لنشوب

---

(1) ابن عذارى، البيان المغرب، ج٢، ص٢٢٥.

(2) ابن بسام، الذخيرة، ق٣، مج١، ج٥، ص١٨٣- ١٨٤- ١٨٥.

(3) البكري، المسالك والممالك، ص٩٣. وهامش رقم(١)؛ ابن بسام، الذخيرة، ق٣، مج١ ،ج٥، ص١٨١؛ ابن عذارى، البيان المغرب،ج٢،ص٢٢٥ ، مجهول؛ الحلل الموشية،ص٧٦، والهامش رقم(٥٩).

(4) دوزى، ملوك الطوائف، ص١٧٧؛ ليفي بروفنسال، ادب الأندلس، ص٥٢، ادوار بروى، القرون الوسطى، ص٢١١- ٢١٢؛ رنسيمان، ص٨٢- ٨٣.

(5) اوروبا في العصور الوسطى، ص١٩١؛ وانظر، عنان، مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، ص١١٣- ١٢٠.

الحرب الصليبية ، تؤيد هذا الرواية التي ذكرها رنسيمان[1] ، (Runciman) والتي تقول: ان مصرع راميرو الأول ملك اراغون في معركة جرادوس (Grados) في إحدى حملات الأمير المسلم احمد المقتدر بن هود ، عام (٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م) قد أثار خيال اروية فبادر البابا (الاسكندر الثاني) [2] (Alexander II) إلى إصدار وعوده ببذل الغفران لكل من قاتل المسلمين في اسبانية ، وشرع بتأليف جيش من اجل مواصلة عمل راميرو فكان وليم مونترا (William of monteruil) قائد جيش شمال ايطاليا وابلس كونت روسي (Ebles of Roucy) قائد جيش شمال فرنسا ، على ان أضخم جيش كان الذي جمعه جفرى كونت اكيتانيا (Geoffoi) قائد الحملة[3] وإذا كانت حادثة سقوط طليطلة عام (٤٧٨ هـ/ ١٠٨٥م) قد اثارت مؤرخنا ابن الأثير[4] ، وجعلته يضعها في مقدمة الحملات الصليبية ، فاننا نستطيع القول بان مأساة بربشتر كانت اسبق وابعد عمقا لصورة الفعل الصليبي في ابعاده العدوانية الحاقدة.

وقد حصل الصليبيون من الغنائم في حملتهم هذه على الشيء الكثير حيث قدرت حصة قائد الحملة ، نحو الف وخمسمائة (١٥٠٠) فتاة عربية مسلمة ونحو (٥٠٠) حمل من أوقار الأمتعة من الحلي وغيرها[5] ، واختار العدو هدية إلى إمبراطور

---

(1) تاريخ الحروب الصليبية ، ج١ ، ص١٣٦؛ وانظر: اشباخ، تاريخ الأندلس، ص١٧ ، ماهية الحروب الصليبية ، ص٣٧.

(2) ولد في باجيو (Bajio) بالقرب من مدينة ميلانو (Millano) الايطالية وانتخب بابا في تشرين الأول (١٠٦١م) ولعب دورا سياسيا خارج حدود الفاتيكان.

(3) اسمه (البيطين) في الرواية العربية ، انظر: البكري المسالك والممالك، ص٩٣؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج٣، ص٢٢٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص٩٠؛ واختلفت الرواية الأوروبية حول اسمه، انظر حول ذلك بالتفصيل في هامش رقم (٢) من تحقيق احمد مختار العبادي لكتاب ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٦٩- ٧٠- ٧١.

(4) الكامل في التاريخ، ج١٠، ص١٤٢.

(5) ابن بسام، الذخيرة، ق٣، مج١، ج٥، ص١٨٢.

القسطنطينية ، هي عبارة عن خمسة الاف (٥٠٠٠) فتاة عربية مسلمة[١] ، واستغل اليهود هذه المأساة حيث عملوا وسطاء بين العدو وبعض أغنياء المسلمين لأجل فدية بناتهم مقابل أموال معينة[٢].

لقد أثارت هذه المأساة أهل الأندلس وبثت فيهم القلق والخوف من المستقبل المجهول ونقد ادبائهم ومؤرخيهم الوضع السياسي ، فنرى ابن حيان يصب غضبه على حكام دويلات الطوائف ، ووصفهم بأنهم " احتوى عليهم الجهل ، واقتطعهم الزيف ، واركستهم الذنوب... يعللون نفوسهم بالباطل..." [٣].

ورثى بربشتر الفقيه الزاهد ، أبو محمد عبدالله بن العسال(ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)[٤] بقصيدة نقد من خلالها الوضع السياسي والاجتماعي المتدهور في الأندلس ، وكتب الاديب أبو محمد عبدالله بن عبد البر النمري[٥] ، (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م) ، رسالة طويلة على لسان أهل بربشتر يشكون فيها حالهم إلى اخوانهم الاندلسيين[٦].

ولقد أصاب احمد المقتدر ما أصاب أهل الأندلس من الحزن والقلق على مستقبل البلاد ، فشرع في القيام برد فعل مناسب يوقف به الزحف الصليبي على سرقسطة وبقية بلاد الأندلس ، كما ان انتقاد الأهالي له في تقصيره لنصرة بربشتر قد اثر سلبيا على سمعته السياسية والعسكرية. لذلك صمم على استرجاع المدينة. فكتب إلى حاكم اشبيلية المعتضد بن عباد ان يمده بالمساعدة فبعث إليه قائدا يسمى

---

(1) البكري، المسالك والممالك، ص٩٤؛ الحموى، معجم البلدان، مج١، ص٢٧٠؛ الحميري، الروض المعطار، ص٩٠- ٩١.

(2) ابن بسام، الذخيرة، ق٣، مج١، ج٥، ص١٨٦.

(3) المصدر نفسه، ص١٨٨- ١٨٩.

(4) انظر ترجمته وقصيدته؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٢١؛ الحميري، الروض المعطار، ص٩٠- ٩١، ص٢٥٢- ٢٥٤- ٢٥٧.

(5) انظر ترجمته: الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٦٨؛ ابن بشكوال، الصلة، ق١، ص٢٧٩؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٤٠٢.

(6) ابن بسام، الذخيرة، ق٣، مج١، ج٥، ص١٧٣ - ١٧٤- ١٧٥.

معاذ بن أبي قرة بمعسكر انتخبه واعده[1] قدر عدده بخمسمائة (٥٠٠) فارس[٢] ، كما أعلن دعوة الجهاد في عموم الأندلس ، فحميت نفوس أهل الإسلام وجاء منهم خلق عظيم ، لايحصى عددهم ذكر انه وصل من سائر بلاد الأندلس ، ستة الاف[٣] وهو عدد لا يستهان به في ظل ظروف ذلك العصر ، فحملوا على العدو حملة رجل واحد ، واستطاعوا ان يثأروا وينتزعوا المدينة من ايدي الصليبيين[٤] وكان ذلك بعد سنة من احتلالها (٤٥٧هـ/ ١٠٦٥م) [٥] وكانت الغنائم التي حصل عليه المسلمون كثيرة قدرت بنحو خمسة الاف (٥٠٠٠) اسير والف (١٠٠٠) فرس والف (١٠٠٠) درع وغير ذلك من الأموال والثياب. ويذكر البكري[٦] ان احمد بن هود لقب بـ (المقتدر بالله) اثر هذا الانتصار الكبير.

وربما كان لاسترجاع بربشتر على يد احمد المقتدر تاثيره على الفكر السياسي والعسكري لبني هود ، حيث بدأوا يطمحون في التوسع نحو البحر المتوسط ، محاولين ابتلاع الدويلات المطلة عليه ، وذلك من اجل تقوية نفوذهم ، والوقوف

---

(1) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٧٣.

(2) ابن بسام، الذخيرة، ق٣، مج١، ج٥، ص١٩٠.

(3) ابن عذارى، البيان المغرب، ج٣، ص٢٢٧.

(4) حاول المستشرق (دوزى) ان يقلل من أهمية الانتصار الذي حققه المسلمون في استرجاعهم لبربشتر، حين وصف الحامية الصليبية التي بقت في المدينة بعد سيطرتها عليها بالضعف، بينما ذكر ابن عذارى ان قوة الحامية بلغت الف (١٠٠٠) فارس، وأربعة الاف (٤٠٠٠) راجل، وذكر ابن بسام ان قائد الحملة الصليبية ترك في بربشتر من رابطة خيله الفا وخمسمائة ومن الرجالة الفين، انظر: البيان المغرب، ج٣، ص٢٢٦ - ٢٢٧؛ الذخيرة، ق٣، مج١، ج٥، ص١٨٦؛ ملوك الطوائف، ص١٧٨.

(5) قارن: ياقوت الحموي الذي يشير واهما إلى ان سيطرة العدو على بربشتر دامت خمس (٥) سنوات، معجم البلدان، مج١، ص٣٧٠.

(6) المسالك والممالك، ص٩٥؛ وانظر: الحميري، الروض المعطار، ص٩١، بينما يرى اخرون انه لقب بذلك بعد انتصاره على أخيه يوسف المظفر؛ انظر: ابن عذارى، البيان المغرب، ج٣، ص٢٢٤؛ وانظر: ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص١٧١.

بامكانات اكبر أمام اية محاولة صليبية أخرى ، لذلك جهز احمد المقتدر جيشا وسيطر على القلاع الدفاعية المجاورة لطرطوشة ، ثم سيطر على مدينة دانية ، وحاول ابناؤه من بعده الاستيلاء على بلنسية كما مر بنا سابقاً.

حصار سرقسطة (٤٧٩ هـ/ ١٠٨٦م):

بعد استيلاء على طليطلة عام (٤٧٨ هـ/ ١٠٨٥م) أراد الفونسو السادس ان يكمل منهجه العدواني العسكري من اجل تحقيق أهدافه في مجابهة السيادة العربية الإسلامية فخرج بجيش صليبي كبير عناصره من " "الروم ومن الافرنج والبشكنس[١] والجلالقة[٢] وغيرهم... ونزل على اشبيلية فافسد احوازها .... وكذلك فعل بشذونة واحوازها ، ثم سار حتى وصل إلى جزيرة طريف (Tarifa) ثم رجع إلى مدينة سرقسطة فنزل عليها وحاصرها وحلف ان لا يرتحل عنها حتى يدخلها أو يحول الموت بينه وبين ما يريد... فنزل إليه اميرها المستعين ابن هود بمالٍ عظيم بذله له فلم يقبله منه وقال: المال والبلاد لي ..." [٣] .

كما حاول الفونسو إضعاف الروح المعنوية في مقاومة أهل سرقسطة فاستخدم معهم اسلوباً دعائياً جاء فيه: انه سوف يمنحهم الحرية الدينية ويساعد ضعفائهم مادياً ليستفيدوا في مجال الزراعة والاعمار ، كما فعل مع أهل طليطلة بعد دخوله لها[٤] لكنهم لم يستجيبوا لتصريحاته ولم يقتنعوا بها ، فهو الذي اقر ما فعله أتباعه في

---

(1) وهم سكان بلاد نافار التي كانت عاصمتها بنبلونة (Pamplona) وتقع شرق مملكة ليون محاذية لجبال البرت، انظر: البكري، المسالك والممالك، ص٧٩، هامش رقم (٥).

(2) من الاقوام التي تدين بالنصرانية ، وتقطن شمال اسبانيا ، وعاصمة بلادهم سمورة، ولهم حروب ضد المسلمين؛ انظر: المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص٨- ٩- ١٠؛ البكري، المسالك والممالك، ص٧٤- ٧٥- ٧٦.

(3) ابن أبي زرع، الانيس المطرب، ص١٤٣ ـ١٤٤؛ وانظر: ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٩١.

(4) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٩١.

طليطلة حين حولوا مسجدها إلى كنيسة[1] ، ثم ان أخبار عبور المرابطين قد وصلت سرقسطة مما زادها ثباتا ، بينما شدد الفونسو حصاره على المدينة ليحصل عليها قبل تفرغه لمحاربة المرابطين ، لكنه لم يفلح في اقتحامها. عند ذلك بعث إلى احمد المستعين يخبره بالموافقة على فك الحصار مقابل دفعه للمال الذي رفضه في البداية عندما فاوضه احمد المستعين على ذلك لكن احد رفض ان يدفع له شيئا. وذلك لعلمه بحراجة موقف الفونسو العسكري ، الذي يتطلب الانسحاب عن سرقسطة لا محالة وفعلا تراجع الفونسو نحو طليطلة ليكون على استعداد في مواجهة المرابطين[2].

وحوصرت سرقسطة مرة ثانية عام (٤٩٥ هـ/ ١١٠١م) بقيادة بيدرو الأول[3] ، (Pedro 1) (ت ٤٩٨هـ/ ١٢٠٥م) أمير اراغون ، وذلك في الوقت الذي أسفرت فيه الحروب الصليبية عن نجاحها في المشرق الإسلامي واحتلت بيت المقدس حيث قامت البابوية بمساعدة الأسبان الذين منعوا من مرافقة الحملات الصليبية نحو المشرق ليكون دورهم مقصورا على مجابهة المسلمين في اسبانية ، لكن الفرصة لم تكن مناسبة لاحتلالها ، وذلك لان المرابطين كانوا قد استعادوا مدينة بلنسية بعد ذلك بقليل ، وعدوا في مركز يسمح لهم بتقديم المساعدات العسكرية إلى احمد المستعين بن هود ، لذلك اضطر المهاجمون إلى ترك الحصار[4].

سقوط وشقة (٤٨٩هـ/ ١٠٩٥م):

ويُعد معركة الكرازة[5] ، (Alcoraz) أو وقعة وشقة[6] ضمن سلسلة المعارك العنيفة الفاصلة بين مسلمي سرقسطة والقوى الصليبية التي تهدف إلى انهاء سيادة

---

(1) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، مج١، ج٧، ص١٦٨.

(2) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٩٢؛ ابن أبي زرع، الانيس المطرب، ص١٤٥.

(3) تسمية الرواية العربية بـ (ابن ردميل)؛ انظر: الطرطوشي، سراج الملوك، ص٢٣٠.

(4) اشباخ، تاريخ الأندلس، ص١٣٩.

(5) المرجع نفسه، ص١٠٥.

(6) ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٦٣؛ المقرى، نفح الطيب، مج١، ص٤٤١.

الإسلام على اسبانيا ، فلقد قرر أمير اراغون شانشو راميرو (Sancho Ramiro) (ت ٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤م) الاستيلاء على معقل وشقة الذي يعد جناح سرقسطة الدفاعي ودرعها الشمالي وهو يبعد عنها مسافة اربعين (٤٠) ميلا[1] وذلك بعد توسع ملكه بسيطرته على أجزاء من مملكة نافار (بلاد البشكنس) بوساطة استخدامه عددا كبيرا من المرتزقة الفرنسيين في جيشه ، فضرب على الحصار على وشقة وصمم على ان لا يبرحها حتى يستولي عليها لكنه اصيب بسهم قاتل أثناء معركة جانبية صغيرة مع قوة من المسلمين وقبل وفاته اوصى ابنه بيدرو الأول ان يكمل حصاره لوشقة ويستولي عليها[2].

واستنجد أهل وشقة باحمد المستعين بن هود لينقذهم من الحصار ، فاستجاب لندائهم وقرر سحق العدوان ، لاسيما ان الظرف السياسي والعسكري قد شهد دخول المرابطين للأندلس واحدث انتعاشا للروح الجهادية ، لدى مسلمي سرقسطة ، وزاد من استجابتهم للتحديات الاسبانية ، وأرسل ابن هود وفدا برئاسة ابنه عماد الدولة عبد الملك لمقابلة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، يعلمه بحصار وشقة ويطلب منه المساعدات العسكرية اللازمة للرد على ذلك ، فبعث ابن تاشفين قوة عسكرية مكونة من الف وخمسمائة (١٥٠٠) فارس[3].

وتقدم احمد المستعين بجيش قوامه عشرين (٢٠) الف مقاتل لمواجهة قوات بيدرو الأول ، المماثلة لنفس العدد تقريبا ، وكان اللقاء عند الكرازة التي تقع على

---

(1) الادريسي، نزهة المشتاق، ص١٩٠؛ عنان، دول الطوائف، ص٢٧٨.

(2) يذكر أبو بكر الطرطوشي، وهو قريب من الحدث زمانا ومكانا، ان المعركة الكبيرة الفاصلة حدثت في عهد ابن ردميل (بيدرو) وهذا يخالف ما اشار إليه اشباخ، الذي يذكر أنها حدثت في أيام سانشو راميرز، انظر: سراج الملوك، ص٣٢٠؛ اشباخ، تاريخ الأندلس، ص١٠٢ – ١٠٤، تشركوا، مجاهد العامري، ص٦٩.

(3) ابن عذارى، البيان المغرب، ج٤، ص٤٢؛ مجهول، الحلل الموشية، ص٧٤- ٧٥؛ وانظر: اشباخ، تاريخ الأندلس، ص١٠٤؛ عنان، دول الطوائف، ص٣٧٨؛ السامرائي، علاقات، ص١٩٦.

مقربة من وشقة[1]، وحصلت معركة دامية بين الجانبين استغرقت نهارا كاملاً [2]، رجحت فيها الكفة لصالح العدو، وسمي هذا اليوم لذلك بـ (يوم الكريهة) وانسحب احمد المستعين ليعيد تنظيم قواته استعدادا للقيام بهجوم جديد، لكنه هزم ثانية، بعد ان فقد جيشه أكثر من عشرة (١٠) الاف مقاتل وسمي ذلك اليوم بـ (يوم الهزيمة) وبعدها بثلاثة أيام اضطر أهل وشقة إلى الاستسلام ويذكر ان العدو حول مسجد المدينة إلى كنيسة حال دخوله وشقة وذلك عام (٤٨٩هـ/ ١٠٩٦م) [3].

وبعد سقوط وشقة نكسة أخرى تضاف إلى جملة النكسات التي تعرضت لها دويلة سرقسطة في هذه المرحلة من تاريخها، حيث فسحت المجال الواسع لاراغون في الولوج إليها واسقاط الحكم العربي الإسلامي فيها، ويذكرنا هذا بما حصل للقشتاليين في توسعهم نحو الجنوب بعد سقوط طليطلة قبل ذلك باحد عشر عاماً[4]، ويعلل احد الباحثين المحدثين سقوط وشقة على الرغم من ضخامة جيش المسلمين الذي شارك في المعركة إلى أنانية حكام بني هود التي أدت إلى عدم توحيد قواهم وخططهم العسكرية مع السلطة المركزية المتمثلة بالمرابطين[5]، وتعقيبا على هذا التعليل نقول: ان المصادر التاريخية لا تشير إلى وجود خطط عسكرية بين بني هود والمرابطين، وكل ما ذكرته ان المرابطين قدموا مساعداتهم العسكرية التي طلبها منهم

---

(1) الطرطوشي، سراج الملوك، ص٣٢٠؛ اشباخ، تاريخ الأندلس، ص١٠٣؛ عنان، دول الدوائف، ص٧٩.

(2) ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص١٧٢، روى الطرطوشي: ان الحرب دامت ساعة واحدة فقط، ثم ملك العدو وشقة؛ انظر: سارج الملوك، ص٣٢١.

(3) ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص١٧٢؛ الطرطوشي، سراج الملوك، ص٣٢١؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٦٣؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص٤٤١ وانظر: مونس، الثغر الأعلى، ص١٠٥؛ اشباخ، تاريخ الأندلس، ص١٠٥؛ عنان، دول الطوائف، ص٢٧٩؛ السامرائي، علاقات، ص١٩٦- ١٩٧.

(4) قارن: اشباخ، تاريخ الأندلس، ص١٠٥.

(5) التواتي، مأساة انهيار الوجود العربي، ص٢١٧- ٢١٨.

احمد المستعين وليس من المعقول ان يرفض بنو هود خطة تنجيهم مما هم فيه من البلاء قدمها إليهم حليفهم المخلص يوسف بن تاشفين.

سقوط تطيلة (٥٠٣هـ/ ١١٠٩م)

يبدو ان توافد المرابطين إلى الأندلس، وتعاونهم عسكريا مع حاكم سرقسطة احمد المستعين[١] تقديرا منهم لموقع سرقسطة الجبهوي وخوفهم من استسلام حاكمها للعدو في حالة الضعف، قد انعش الروح الجهادية لاهل سرقسطة لذلك قام احمد المستعين بعدة غارات على بعض جهات مملكة اراغون لغرض افشال مشاريعها العسكرية حيث استطاع اجتياز مدينة تطيلة التي تقع إلى الشرق من سرقسطة نحو الجنوب الشرقي حيث قلعة ارنيط (Arnet) فدخل احياءها فاضطر أهل القلعة إلى الاعتصام في كنيسة منيعة وفرض عليهم الجزية[٢].

ولم يقف أمام هذه الانتصارات إلا تحالف الفونسو الأول (المحارب) الذي خلف اباه بيدرو الأول في حكم اراغون (٤٩٩-٥٢٩هـ/ ١١٠٤-١١٣٤م) مع الرنك، انريكي دي بورجينا (Enrigue de Borgona) أمير البرتغال (Portugal) من اجل السيطرة على تطيلة، وهي اخر ما تبقى من قواعد سرقسطة المهمة بعد وشقة، وقد سارع احمد المستعين لنجدتها، فوقعت معركة عنيفة بين جيشه وبين القوى الاسبانية المتحالفة عند مدينة بلتيرة الواقعة إلى الشرق من تطيلة وصفها ابن عذارى[٣] بأنها: "ملحمة"، وقد خسر فيها المسلمون واستشهد قائدهم احمد المستعين بن هود،

---

(1) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص١١٣؛ مجهول، الحلل الموشية، ص٧٤- ٧٥؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج٤، ص٤٢؛ اشباخ، تاريخ الأندلس، ص١٠٤.

(2) ابن عذارى، البيان المغرب، ج٤، ص٥٣؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص١٧٤؛ دول الطوائف، ص٢٨٠.

(3) البيان المغرب، ج٤، ص٥٥.

"إذا سقط في الميدان وهو يقاتل قتال الابطال" [1] وكان ذلك عام (٥٠٣هـ/ ١١٠٩م)[2].

٢- الأسلوب التبشيري

في خضم الصراع ضد السيادة العربية الإسلامية على الأندلس ، حاولت الصليبية من خلال دير كلوني ، المعروف باهتمامه بشؤون اسبانيا وتشجيعه على حرب المسلمين فيها[3] ان تبتكر اسلوبا جديدا في مجابهتها للعرب المسلمين في اسبانيا ، حيث كلفت الراهب هوف (Hugh) رئيس دير كلوني (٤٤٠ -٥٠٣هـ/ ١٠٤٨ -١١٠٩م) للقيام بالمهمة التي تتلخص بدعوة حاكم سرقسطة احمد المقتدر بن هود إلى الردة عن الإسلام عن طريق التنصر ، وذلك من خلال رسائل دينية تبشيرية ترسل مع مبعوثين من رجال الدين النصارى إلى سرقسطة.

وقد احتفظت مكتبة الاسكوريال[4] (Escurialansis) بمخطوطة لاحدى تلك

---

(1) اشباخ، تاريخ الأندلس، ص١٤٠.

(2) حول هذه المعركة، انظر: ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص١١٧؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢٤٨؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج٤، ص٥٣- ٥٥؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص١٧٤؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٦٣- ١٨٨؛ مؤنس، الثغر الأعلى، ص١٠٦؛ اشباخ، تاريخ الأندلس، ص١٤٠؛ عنان، دول الطوائف، ص٢٨٠ - ٢٨١؛ السامرائي، علاقات، ص١٩٨- ١٩٩.

(3) أنشأ هذا الدير جنوب فرنسة، عام ٩١٠ وهو مركز لمجموعة كبيرة من الاديرة المنتشرة في العالم النصراني؛ انظر: س- ورن – هلستر، اوربا في العصور الوسطى، ص١٨١؛ جورج سباين، تطور الفكر السياسي، ج٢، ص٣٢٧؛ رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص١٣٥؛ بروفنسال، الحضارة العربية في اسبانيا، ص١٢٤ - ١٢٥؛ جوزيف نسيم يوسف، العرب والروم، ص٢٣- ٥٧- ٧٣؛ الطيبي، دراسات وبحوث، ص١٥٨؛ قاسم، ماهية الحروب الصليبية، ص٤٣.

(4) وهو البناء الذي شيده فيليب الثاني ملك اسبانية في اواخر القرن السادس عشر ويبعد عن مدريد مسافة (٥١كم) كم ويشمل كنيسة وقصرا ومقبرة ملكية ودير ومدرسة؛ انظر: البتنوني، رحلة الأندلس، ص٢٠.

الرسائل[1] ضمت معها رد حاكم سرقسطة بقلم الفقيه أبو الوليد الباجي(ت ٤٧٤هـ/ ١٠٨١م) [2].

ولقيت هذه المخطوطة عناية واهتمام بعض المستشرقين المهتمين بالدراسات الأندلسية مثل دنلوب (Dunlop) والن كتلر (Allen cutler) وتركي (A.Turki)[3] ، كما ذكر سالو بارون (Salo Baron) [4] هاتين الرسالتين في مؤلفه الضخم عن تاريخ اليهود ، تبيانا لقيمتها الدينية والحضارية ، وقام دنلوب[5] ، بترجمتها إلى اللغة الانكليزية وقدم تحليلا نقديا ذكر فيه:

ان هذه المخطوطة تكشف عن العلاقة المبكرة بين الإسلام والغرب ، التي يحتاج إليها الباحث لتاكيدها ، إلى وثائق مثل الوثيقة التي بين ايدينا ، واظهر من خلال النقد الداخلي صحة عائدية الرسالتين إلى كاتبيهما ، ونفى ان يكون احد المسلمين قد كتب الرسالة والرد عليها لاغراض دعائية ، كما بين من خلال النقد الخارجي للمخطوطة صحة سندها التاريخي. وذكر ان هذه الوثيقة الاسكوريالية كانت ضمن المخطوطة المرقمة (٥٣٨) التي اعتمد عليها المستشرق جولد تسهير في بحثه عن الشعوبية في اسبانيا وقد قام الباحث محمد عبدالله الشرقاوي ، بدراسة جديدة لهذه المخطوطة واكد على أهميتها وصحح بعض الاخطاء التي وقع فيها من سبقه من الباحثين في مجال دراستها.

---

(1) نشرت تحت عنوان: رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين وجواب القاضي ابن الوليد الباجي عليها ، دراسة وتحقيق.

(2) ولد عام (٤٠٣هـ/ ١٠١٢م) ورحل إلى بغداد ودمشق من اجل طلب العلم ثم رجع إلى سرقسطة ، وكان من المقربين إلى حاكمها المقتدر بالله ابن هود ، انظر: ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ص١٩٦- ١٩٧؛ المقرى ، نفح الطيب ، مج٢ ، ص٦٧- ٦٨- ٦٩.

(3) انظر: الشرقاوي في مقدمته ودراسته لرسالة الراهب ، ص٣٣- ٣٤- ٣٥- ٣٦.

(4)The Social and Religious History of the Jews, vol. v. p. 337.

(5)Achistian Mission to Muslim spain , vol. 17. (Madrid, 1952), P. 259-263.

ولعل اختيار أعداء العرب المسلمين لهذا الأسلوب مع بني هود ، لاسيما في عهد احمد المقتدر يعود إلى موقع سرقسطة السوقي ، الذي يمثل البوابة الشمالية للأندلس ، والحلقة المتقدمة للسيادة العربية الإسلامية نحو اوربة.

يضاف إلى ذلك ان أسرة بني هود كانت من الأسر القوية في الأندلس ، ولهذا لا يمكن – حسبما يرى الشرقاوي[1] ان تعد ظروف الضعف والحصار التي كانت تعاني منها سرقسطة سببا في دعوة حاكمها احمد المقتدر إلى اعتناق النصرانية ، وذلك لان دويلة سرقسطة في أيام هذا الحاكم امتدت نحو ميناء دانية وأصبحت تشرف على مساحة واسعة من الشريط الساحلي المطل على البحر المتوسط ، بموانئه الثلاثة (دانية ، طرطوشة ، طركونة) كما كانت لأحمد المقتدر حملات عسكرية ناجحة ضد الممالك الاسبانية ، في سبيل افشال مخططاتها الرامية لإنهاء السيادة العربية الإسلامية[2] ، وابرز هذه الحملات استرجاع بربشتر يضاف إلى ذلك انه لم يحصل وابرز هذه الحملات استرجاع بربشتر يضاف إلى ذلك انه لم يحصل أي حصار لسرقسطة في عهد احمد المقتدر وإنما حصل ذلك في عهد حفيده احمد المستعين بن المؤتمن وذلك عام (٤٧٩ هـ/ ١٠٨٦م).

---

(1) انظر: تقديمه ودراسته لرسالة الراهب الفرنسي، ص١٧ ، هامش رقم ١.

(2) استطاع احمد المقتدر ان يفتتح حصونا عديدة كانت تحت سيطرة غرسيه ابن سانشو ملك نافار، وذلك عام (٤٦٢هـ/ ١٠٦٩م) وقد مدح احد الشعراء هذا الفتح بقوله:

يكَ اقْتحدَحَ الاسلامُ زَنْدَ انتصارِهِ

وَبيضُكَ نَارٌ شبها ذلك القَدْحُ

انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق١ ، مج٢ ، ج٢ ، ص٧٢٦- ٧٢٧.

رسالة الراهب الفرنسي هوف Hugh دير كلوني Cluny وجواب العلامة أبو الوليد الباجي عليها[1]

أ- من رسالة الراهب الفرنسي:

إلى الصديق الحبيب الذي نؤمله ان يكون خليلا مدانيا ، المقتدر بالله على دولة هذه الدنيا ، الملك الشريف ، من الراهب احقر الرهبان ، الراغب في الانابة والايمان بالمسيح يسوع ابن الله سيدنا.

لما انتهى الينا- أيها الأمير العزيز — امرك الرفيع في الدنيا وبصيرتك في تبين احوالها المتغيرة ، رأينا ان نراسلك وندعوك لتؤثر الملك الدائم على الملك الزائل الفاني.

وانت رايت كتابنا اليك الذي راجعت عليه مراجعة نبيلة على حسب نظر أهل الدنيا ولم تكن بحسب مطلوبنا من المراجعة الروحانية ، ولذلك تراخي زماني بمراجعتك إذ توقعنا ان نتكلف تبعا لا نجتني به ثمرة.

وان الشيطان اللعين الذي عرض أهل هذه الدنيا للموت بجسده لآدم ، حاول تغيير هذه الملة المقدسة بعد اقبال الحواريين الذين هدوا أهل الارض بالموعظة وبعد ظهور الشهداء الاصفياء على ابليس بالغلبة ، الذين هرقوا دماؤهم في اقطار الارض

(1) انظر: تحقيق رسالة الراهب والرد عليه كاملا عند الشرقاوي، المرجع السابق،

في ذات الله وفي سبيل شريعته المقدسة ، فلم يستطع ان يغزى أهل الدنيا ويحلمها في ضلالهم القديمة من عبادة الاوثان ، فشبه على بني اسماعيل في امر الرسول الذي اعترفوا له بالنبوة ، فساق بذلك انفسا كثيرة إلى عذاب الجحيم.

فاعتبر – ايها الملك الشريف ولاتؤثر شيئا على نجاة نفسك يوم الحكم والجزاء فانا مخلصون في خدمة امورك ومسارعون إلى تفديتك بنفوسنا ، ومتى قبلت وعملت برأينا وتقررت عندنا اجابتك إلى ما ندعوك إليه من قبول كلمة النجاة الدائمة التي نعرضها عليك ، لم نتوقف على الالتحاق بك ، فتامل – ايها الحبيب- ما يحق عليك تقديم العمل به ، والمسارعة إليه ، واغتبط بما يدين به ، اخواننا في هذا القطر من الدعاء وبذل الصدقات الزاكية عنك ، وما منهم احد رآك ولا شاهدك ، وانما يتبرع بذلك رغبة في ان يهديك الله إلى مرضاته.

والسلام عليك – ايها الحبيب – من سيدنا المسيح الذي اذهب الموت وقهر الشيطان ، ورحمة منه وبركة باستنفاذك من حبائل ابليس التي كنت فيها متورطا إلى الان ، ونسأل الله الذي له القدرة والعظمة الذي من اجله خلق كل شيء ومن دونه لم يخلق شيئا ، ان يهديك ويثبت في نفسك ما دعوناك إليه ، وحضضناك عليه.

وان لم يظهر لك – يا ايها الحبيب – مراجعاتنا بجوابك على ما تضمنه كتابك لآفات الكتب ، فاودع ذلك اخواننا هؤلاء ، واطلعهم على سرك وما يتمثل في نفسك ونحن نضرع إلى سيدنا يسوع المسيح ان يتولى رعايتك ، ويتكفل سلامتك ويهديك إلى دينه المقدس ، ويسعدنا بالايمان الصحيح به أمين.

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible]

[illegible]

صفحة العنوان لرسالة الراهب

ب- من جواب العلامة أبو الوليد الباجي

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على محمد وعلى آله وسلم

العزة لله.

والصلاة على رسوله

تصفحت — ايها الراهب — الكتاب الوارد من قبلك، وما متت به من مودتك، واظهرته من نصيحتك، وابديته من طويتك، فقبلنا مودتك لما بلغنا من مكانتك، عند أهل ملتك، واتصل بنا من جميل ارادتك...

وانا لنربأ بمثلك، ونرفع قدرك عما استفتحت به كتابك، من ان عيسى(عليه السلام) ابن لله تعالى: بل هو بشر مخلوق وعبد مربوب لا يعدو عن دلائل الحدوث: من الحركة، والسكون، والزوال، والانتقال، والتغير من حال إلى حال، واكل الطعام، والموت الذي كتب على جميع الانام، مما لا يصح على آله قديم.

وان الله — خلق عيسى(عليه السلام) من غير اب كما خلق ادم (عليه السلام) من تراب، وقد حملت بعيسى ام، ولم تحمل بادم انثى ولا ذكر، فإذا لم يكن آدم الها، وهو الاب الأول. هو مخلوق — فعيسى أولى ان لا يكون آلها...

وقد ظهر على ايدي سائر الرسل — عليهم السلام — من الآيات الواضحة والمعجزات الباهرة، مثل ما ظهر على يدي عيسى(عليه السلام) واكثر، فلو جاز ان يدعى إلى عيسى (عليه السلام) بشيء مما ظهر على يديه من احياء ميت، وأبراء اكمه وابرص بأنه ابن الله — تعالى — لجاز ان يدعى ذلك لابراهيم، لما ظهر على يديه من سلامته من النار، بعد ان قذف فيها، ولم ينج عيسى من عدد يسير من البشر راموا — بزعمكم — صلبه وقتله، ولجاز ان يدعى ذلك لموسى(عليه السلام) لما ظهر على يديه من قلب العصا حية وفلق البحر، ولجاز ان يدعى ذلك لمحمد

(صلى الله عليه وسلم) لما ظهر على يديه من انشقاق القمر ونبع الماء من بين اصابعه ، وتسبيح الحصى في يديه ، وحنين الجذع إليه ، وغير ذلك من الايات .

ولو جاز ان يقال ان عيسى (عليه السلام) هو الخالق ، لما ظهر من ذلك على يده ، والمنفرد بفعله ، ولجاز ان نقول ان آدم وابراهيم وموسى ومحمدا وسائر الانبياء – عليهم السلام – انفردوا بخلق ما ظهر على ايديهم ، وان جميعها من خلقهم ، وانهم لذلك الهة معبودين. وذلك محال فلا خالق إلا الله ، و معبود سواه ، وهؤلاء انبياء مكرمون ورسل مؤيدون ، صدقهم الله تعالى بما ظهر على ايديهم من المعجزات التي لا يقدر عليها غيره ، ولاتصح ان يخلقها سواه.

وعندنا من علم شريعتكم واختلاف اخباركم في ملتكم وما تورده كل طائفة من شبهكم في الاقانيم والاتحاد ومعنى اللاهوت والناسوت والجوهر وغير ذلك من تنميقات اناجيلكم...

وقد رainا ما في كتبك مما خالفت فيه جميع أهل ملتك ، فانه ليس في فرق النصارى من يقول: ان المسيح لا ينبغي الايمان باحد سواه ، بل هو الايمان بالاب عندكم واجب ، والاب لم يتحد بالناسوت عندكم وانما اتحد به الابن فمن لم يؤمن بغير الابن كفر بالأب ، وقد تقدم في كتابك ان المسيح ابن الله وهذا نقض لقولك: انه لا ينبغي الإيمان بغير المسيح الذي هو الابن.

ومن طريف ما تأتون به، وتضحكون سامعه منكم، قولكم:

"عيسى ابن الله – تعالى عن ذلك – وتقولون: انه من ولد داؤد"(عليه السلام) وهذا ثابت في اناجيلكم ومتلو من كتابكم ، وتزعمون ان جبريل إذ بشر مريم به قال لها:

"انه يكون عند الله عظيم ويكون (الله سبحانه) اسمه ناشرا ويدعى بابن الله ويورثه الله الملك أبيه داؤد" ولا تحملون ذلك على ان داؤد أبوه من قبل مريم ، لأنها

لم تكن من ذرية داؤد ، وانما تحملون على انه أبوه من قبل يوسف النجار الذي تزعمون انه كان زوجا لمريم. فإذا كان عيسى من ولد داؤد ، وداؤد عبد مخلوق ، وجد بعد ان لم يكن ، ومات بعد ان حيي ، فكيف يكون عيسى الابن ، خالق داؤد — أبيه — وآلهه؟ . وكيف يكون ابناً لداؤد المخلوق وابنا لله الخالق؟.

وما هذا إلا جهل بمعرفة الابن من الاب والقديم من المحدث والخالق من المخلوق؟

فلا يغرنك — ايها الراهب ، حظوتك عند أهل ملتك ومكانتك في مكانك ، واستجلاب نفوسهم ، واستمالة قلوبهم بالفاظ تزخرفها ولا تعلم معناها ولاتعرف حقيقة المراد به ، و لا مقتضى القول فيها من قولك: "الجواب الروحاني والكلام الآلهي " ، وما اشبه ذلك من الفاظ كثيرة سمعتها فنقلتها إلى غير موضعها ...

فلا تؤثر على خلاص نفسك وخلاص من تبعك شيئا من عرض الدنيا وزخرفها فانك لا ينفعك جهل من اغتر بك فيها يوم الورود على ربك.. وقد اودعنا صاحبيك الواردين علينا ما نعتقده مما اعزنا الله به من الإسلام واكرمنا به من اتباع نبينا محمد (صلى الله عليم وسلم):

(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)

(آل عمران ٦٤)

(..فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)

(آل عمران ٦١)

والله نسال ان يهديك والسلام

على من اتبع الهدى

ومن أجوبة الفقيه القاضي أبي الوليد الباجي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة على رسوله

صفحة العنوان من جواب القاضي أبي الوليد الباجي

الفصل الرابع

المرابطون ونهاية حكم بني هود

يعد المرابطون أو الملثمون[1] ، بمثابة المنقذ الذي طال انتظاره لعلاج الأوضاع السياسية والاجتماعية المتردية في الأندلس ، وفق منظور القيادة المركزية الموحدة ، التي تذوب تحت ظلالها الحدود الوهمية لدويلات الطوائف ، وقد ظهر هؤلاء المجاهدون في المغرب ، وكانت دعوتهم دينية ، "مبنية على دين متين وتأسيس بفقه"[2] ، وابرز امرائهم يوسف بن تاشفين الصنهاجي[3] ، الذي عبر الأندلس بجيشه عام (٤٧٩ هـ/ ١٠٨٦م) بناء على دعوة أهلها للعمل على مساعدتهم في التخلص من طغيان الممالك الاسبانية وصد محاولاتهم في مجابهة السيادة العربية الإسلامية ، لاسيما بعد سقوط طليطلة ، على يد الفونسو السادس[4] ، وكان الأخير في تلك الأثناء يحاصر مدينة سرقسطة مصمما على إسقاطها ورافضا التنازلات المالية التي عرضها عليه حاكمها احمد المستعين ، لكنه حين سمع نبأ عبور المرابطين نحو الأندلس ، اضطر إلى فك الحصار عن المدينة دون ان يحصل على شيء[5].

---

(1) سموا بذلك الاسم لأنهم استخدموا اللثام في تغطية رؤوسهم، ويعود ذلك ربما لأسباب مناخية ، انظر: ابن عذارى، البيان المغرب، ج٤ ، ص١٢٨؛ ابن خلدون، العبر، ج٦ ، ص١٨٢ ، مؤلف مجهول، ج١ ، ص٥٢.

(2) ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص٢٤٣؛ وانظر: مجهول، مفاخر البربر، ص٥٢.

(3) ابن أبي زرع، الانيس المطرب، ص١٢٦ ، مجهول، الحلل الموشية، ص٢٤.

(4) ابن بلقين، التبيان، ص١٠١- ١٠٢- ١٠٣ ، ابن أبي زرع، الانيس المطرب، ص١٤٤ ، مجهول، الحلل الموشية، ص٣٨.

(5) الضبي، بغية الملتمس، ص٣١؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٩١ - ٩٢؛ ابن أبي زرع، الانيس المطرب، ص١٤٥؛ الناصري، الاستقصا ، ج٢ ، ص٣٥؛ اشباخ، تاريخ الأندلس، ص٧٩- ٨٠، عاشور ، اوروبا العصور الوسطى، ج١ ، ص٥٤٥.

وبعد ان رد يوسف بن تاشفين الخطر الاسباني عن الأندلس رأى ان من مصلحة الامة العليا تصفية دويلات الطوائف، ولم يستثن منها سوى دويلة سرقسطة[1] ويعود أسباب هذا الاستثناء إلى خطورة موقع سرقسطة العسكري في مواجهة التحديات الاسبانية والصليبية، والشجاعة الفائقة التي ابداها احمد المستعين في التصدي لها[2]، فضلاً عن العلاقة الطيبة التي ارسى قواعدها احمد المستعين وذلك من خلال ارساله الرسائل والوفود إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين التي تؤكد على تقديم الولاء والطاعة لحكومة المرابطين في المغرب والأندلس[3]، كما ان ابن تاشفين قدر ضخامة التكاليف العسكرية والاقتصادية التي ستحملها المرابطون لو أنهم ازاحوا بني هود عن جبهة سرقسطة، والضعف الذي سيلحق بالمنطقة الشمالية الشرقية للأندلس نتيجة لمقاومة بعضهم لجيشه فيما لو حصل ذلك، ولهذا لا يمكن للباحث ان يتفق مع ما ذكره ابن الكردبوس[4]

(1) يذكر الأمير عبدالله بن بلقين، وهو احد الحاضرين مجلس القائد يوسف ابن تاشفين بعد الانتهاء من معركة الزلاقة عام (٤٧٩ هـ/ ١٠٨٦م) ان أمير المسلمين قد اطلع عيانا وسماعا من اختلاف كلمتنا مالم يروجها لبقائنا في الجزيرة؛ انظر: التبيان، ص١٠٧؛ وانظر: ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص١٧٣، ص٢٨١ - ٢٨٢.

(2) كانت للمستعين مواقف شجاعة في مقاومة حصار سرقسطة، ومعركة وشقة، ومعركة تطيلة التي استشهد خلالها، كما اسلفنا، وقد قال عنه ابن الاثير بأنه من الشجعان الذين يضرب المثل بهم، كما اورد ما قاله ابن تاشفين في وصيته لابنه علي في هذا الخصوص، اتركهم بينك وبين العدو فأنهم شجعان، انظر: الكامل في التاريخ، ج١٠، ص١٩٢.

(3) تذكر المصادر انه وجه إليه ابنه عبدالملك على رأس وفد بمناسبة بيعة ابنه علي واليا للعهد، وقد حمل معه إعداد كبيرة من الاواني الفضية المطرزة باسم المقتدر بن هود، وقد وزعها أمير المسلمين ابن تاشفين على جماعته، انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق٢، مج٣، ج٤، ص٤٥٤؛ ابنا الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢٤٨ - ٢٤٩؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج٤، ص٤٣؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص١٧٣- ١٧٤؛ مجهول الحلل الموشية، ص٧٤؛ وانظر: مؤنس، الثغر الأعلى، ص١٠٤.

(4) تاريخ الأندلس، ص١١٠؛ وانظر: جودت الركابي، في الادب الاندلسي، ص٢٩.

في تفسيره لسبب بقاء دويلة سرقسطة على أساس ان احمد المستعين اعتصم بجيرانه الروم ، بما يدفع لهم من الاتاوة فلم يستطع المرابطون ان ينالوا منه ، وذلك لان احمد المستعين اتخذ موقفا محددا من المرابطين يشبه الموقف الذي اتخذه المعتمد ابن عباد ، والذي لخصه بقوله: "رعي الجمال خير من رعي الخنازير "[1] ولم يجد ابن هود عن ذلك الموقف حتى في اشد الظروف العسكرية حراجة ، ثم انه من غير المعقول ان يعتصم ابن هود بالممالك الاسبانية وهو يلقي الدعم العسكري المقرون بالارادة الذاتية في حكم سرقسطة.

كذلك لا يمكن قبول تفسير دوزى[2] ، لمسالة بقاء بني هود في حكم سرقسطة دون غيرهم من حكام الطوائف على أساس الهدايا التي قدموها إلى يوسف بن تاشفين ، ان الروايات التاريخية لم تذكر أن ابن تاشفين فرض يوماً ما ضريبة أو اتاوة أو جزية ، مقابل دفاعه عن الأندلس[3] ، وليست للهدايا تأثير سلبي على شخص مثل يوسف بن تاشفين ، بحيث تجعله يغير موقفا مبدئيا فيه صلاح للأمة صمم على تنفيذ كما لم تخبرنا المصادر التاريخية انه لام أو عاقب بني هود لعدم مشاركتهم في استقباله عند عبوره إلى الأندلس كما فعل بعض حكام دويلات الطوائف[4] أو اتهامه لهم بالخيانة العظمى لعدم مشاركته في معركة الزلاقة (Scralias)

(1) قال ابن عباد هذا القول المشهور انطلاقا من توجهه الاكيد نحو اخوانه المرابطين، الذي فضل ان يكون اسيرا لديهم من ان يقع في اسر الفونسو السادس؛ انظر: ابن عذارى، البيان المغرب، ج٤ ، ص١٣٢؛ الحميري، الروض المعطار ، ص٢٨٨؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص٢٤٥.

(2) Spanish Islam , p.717

(3) من خلال رسالة جوابية ارسلها والي قرطبة المرابطي (محمد بن الحاج داؤد) إلى المستعين بن هود ، يظهر بوضوح ان هدف ابن تاشفين ليس امتلاك الأموال والاراضي، وانما انقاذ المسلمين الأندلسيين من حالة التردى والضعف؛ انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق٢ ، مج٢ ، ج٤ ، ص٥٤٧؛ وانظر: التواتي مأساة انهيار الوجود العربي، ص٣١٦.

(4) مجهول، الحلل الموشية، ص٦٨- ٦٩.

(٤٧٩ هـ/ ١٠٨٦م) [١] تلك المعركة الفاصلة الخطيرة التي خاضها المرابطون بمعاونة بعض ملوك الطوائف وأبرزهم المعتمد بن عباد ، ضد جيوش قشتالة بقيادة الفونسو السادس[٢] ، وقد كللت بالنصر المبين ونفحت في روح السيادة العربية الإسلامية للأندلس لعشرات السنين.

ان ذلك كله لم يكن إلا بسبب تقدير أمير المرابطين لدور بني هود في كفاحهم المستمر من اجل حماية بوابة الأندلس الشمالية ، لذلك لا يستبعد ، كما يرى احد الكتاب المحدثين[٣] ، ان يكون المستعين بالله ويوسف بن تاشفين قد اتفقا على تطهير منطقة بلنسية من القشتاليين وتحريرها من احتلالهم والعمل معا على استرجاع أراضي طرطوشة ولادرة من المنذر وضمها إلى مملكة سرقسطة لتكوين جبهة قوية مع المرابطين للوقوف أمام نوايا قطالونيا واراغون التوسعية.

ويعزز هذا الاستنتاج ما ذكره احمد المستعين في رسالته التي وجهها إلى يوسف بن تاشفين التي ذكر فيها الموقف الموحد من الخطر المشترك الذي يهدد الطرفين ، المرابطي والهودي ، والمعونات الاقتصادية التي يمكن لبني هود تقديمها عن طيب خاطر إلى حكومة المرابطين[٤] ، وبناء على ذلك أرسل ابن تاشفين قوة عسكرية إلى

---

(1) انظر: تفاصيل هذه المعركة في المصادر التالية: ابن بلقين، التبيان، ص١٠٤ ، وما بعدها؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج٤، ص١٣٠ وما بعدها؛ ابن أبي زرع، الانيس المطرب، ص١٤٦؛ وما بعدها، مجهول الحلل الموشية، ص٥٢، اشباخ، تاريخ الأندلس، ص٨٠ وما بعدها.

(2) ذكر صاحب الحلل الموشية ان يوم الزلاقة كان يوم لم يسمع بمثله من يوم اليرموك والقادسية، انظر: مجهول، ص٦٦.

(3) انظر: Afif Turk, el Reine de Zargoza en el Silo x1 رسالة دكتوراه بجامعة مدريد، ١٩٥٦، ص٢٣٢- ٢٣٥، نقلا عن السيد عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص٨٦.

(4) نص الرسالة يقول: نحن بينكم وبين العدو سد لا يصل اليكم منه ضرر ومنا عين تطرف، وقد قنعنا بمسالتكم، فاقنعوا منا بها، إلى ما نعينكم به من نفيس الذخائر، ابن عذارى، البيان المغرب، ج٤، ص١٤٥؛ مجهول، الحلل الموشية، ص٧٤؛ اشباخ، تاريخ الأندلس، ص١٠٤.

سرقسطة مكونة من الف (١٠٠٠) فارس ، لتقف مع جيش ابن هود ضد مخططات الفونسو السادس[1].

ولكن هذه العلاقة تغيرت في عهد علي بن يوسف بن تاشفين لاسيما بعد استشهاد احمد المستعين في احداث تطيلة عام (٥٠٣ هـ/ ١١٠٩م) حيث تشير الروايات[2] ، ان القائد المرابطي المقيم في سرقسطة (عبدالله بن فاطمة) تحرك لغرض السيطرة عليها ، ولكن وفدا من سكان المدينة خرج إليه ليثنيه عن عزمه خوفا من استعانة عماد الدولة عبدالملك بن احمد المستعين بالنصارى الأسبان ، وما قد يحصل نتيجة ذلك من فتن غير محمودة العواقب ، ويبدو ان عبدالملك هذا لم يكن جادا في مقاومة المخططات الصليبية ، كما كان والده احمد المستعين ، فقد شرط عليه شعبه عدم الاستعانة بالاسبان والا فأنهم سوف يخلعونه عن السلطة ، لكنه بعد أيام اخل بشرطهم ، حيث تحالف مع الفونسو الأول (المحارب) ملك اراغون ونافار عند ذلك كتب أهل سرقسطة إلى الأمير علي بن يوسف يرغبون بالدخول في طاعته ، فامر بدوره محمد بن الحاج اللمتوني ، واليه على بلنسية ان يتحرك نحو سرقسطة ، لاسقاط حكم بني هود ، فحصل بسبب ذلك معارك بين المرابطين ومعهم أهل سرقسطة من جهة ، وعبد الملك بن هود وحلفائه الأسبان من جهة أخرى ، أسفرت عن مقتل العديد من الطرفين ، وانتهت بسيطرة المرابطين على المدينة ، وذلك عام (٥٠٣هـ/ ١١٠٩م).

ويذكر المؤلف المجهول لكتاب الحلل الموشية[3] رواية أخرى حول سقوط بني هود مفادها ان مستشاري الأمير علي بن يوسف أشاروا عليه بعدم شرعية حكومة

---

(1) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص١١٢.

(2) ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢٤٨؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج٤، ص٥٢- ٥٤؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص١٧٥.

(3) ص ٩٨- ٩٩؛ وانظر: ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، ج٢، ص٤٢٨ ؛ سلامة محمد سلمان الهرفي، دولة المرابطين ، ص١٤٨.

بني هود لسرقسطة لكونهم مسالمين للاعداء فاخذ ابن تاشفين برايهم وامر بتوجيه قوة عسكرية بقيادة أبي بكر بن تيفلويت لانهاء حكمهم ولما سمع عبد الملك بن هود بذلك تحصن ببلاده وكتب إلى الأمير علي بن تاشفين كتابا يذكره فيه بالعلاقات الطيبة التي كانت بين والديهما ، وانه على استعداد دائم لتقديم الولاء والطاعة للحكومة المركزية المرابطية. ولما قرأ الزعيم المرابطي كتابه ، غير رأيه وأرسل إلى أبي بكر بن تفلويت يامره بالكف عن سرقسطة لكنْ رسالته وصلت متاخرة حيث دخل قائد الجيش إلى المدينة وانهى الحكم الهودي فيها.

ويتضح مما اشرنا إليه انفا ، ان قرار انهاء حكم بني هود لسرقسطة كان على ما يبدو قرارا مستعجلا ليس فيه من الحكمة شيء بدليل انه ولد صراعا داخليا كانت سرقسطة وجيش المرابطين في غنى عنه ، زيادة على اضطرار حاكم المدينة للاستعانة بالممالك الاسبانية ، وهو لم يكن ينوي ذلك حسبما ورد في رسالته من تقديم للولاء والطاعة لحكومة المرابطين. ثم ان المرابطين لم يستطيعوا ان يثبتوا في حكم سرقسطة سوى تسع سنين فقط حتى سقطت المدينة من ايديهم عام (٥١٢هـ/ ١١١٨م) وهذا دليل مهم على بعد النظر السياسي والعسكري ، الذي تحلى به الأمير يوسف بن تاشفين ، عندما اقر بني هود على حكم سرقسطة دون غيرهم من الأسر الحاكمة في بقية دويلات الطوائف[1].

(1) وصف ابن سعيد سياسة يوسف بن تاشفين في اشتثنا ، سرقسطة ، وابقاءها بيد بني هود ، بأنها نعم الرأي؛ المغرب في حلى المغرب، ج٢ ، ص٤٣٧.

المصادر والمراجع

أ- المصادر الأولية:

مجهول المؤلف: الدرة النثيرة في أخبار أهل الجزيرة، مخطوط في المكتبة الوطنية في تونس رقم (١٨٤٠٧) مصورة بالفوستات.

ابن الابار :أبو عبدالله محمد بن عبدالله (ت ٦٥٨ هـ/ ١٢٥٨م)

١- اعتاب الكتاب، تحقيق صالح الاشتر، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٩٦١.

٢- التكملة لكتاب الصلة، القاهرة، نشر عزت العطار الحسيني. مطبعة السعادة، الجزء الأول، ١٩٥٥، الجزء الثاني، ١٩٥٦.

٣- الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، ١٩٦٣، ج١ - ٢.

ابن الاثير: عز الدين أبو الحسن علي (ت ٦٢٨ هـ/ ١٢٣٠م)

٤- الكامل في التاريخ، بيروت، دار صادر، ١٩٦٥ - ١٩٦٦، ج٧، ج٩-١٠.

الادريسي: أبو عبدالله محمد بن عبدالله، المشهور بالشريف (ت ٥٦٠ هـ/ ١١٦٤م)

٥- صفة المغرب وارض السودان ومصر والأندلس، ماخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق، تحقيق دوزى ودى غويسه، ليدن، مطبع بريل، ١٩٦٨.

ابن بسام: أبي الحسن علي الشنتريني (ت ٥٤٢ هـ/ ١١٤٧م).

٦- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق احسان عباس، ط٢، بيروت،

دار الثقافة، ١٩٧٩، ج١ - ٢- ٣- ٤- ٥- ٦- ٧.
ابن بشكوال: أبي القاسم خلف بن عبد الملك، (ت ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م).
٧- الصلة، القاهرة، الدار المصرية للتاليف والترجمة، ق١- ٢.
البكري: أبو عبيد عبدالله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤)
٨- جغرافية الأندلس واوربا، من كتاب المسالك والممالك، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، بيروت، دار الارشاد، ١٩٦٨.
البلاذري: احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ/ ٨٩٢م)
٩- انساب الاشراف، نشر جوستن، ١٩٣٦، واعادت مكتبة المثنى نشره، ج٥.
ابن بلقين: الأمير عبدالله (٤٩٦ - ٤٨٣هـ/ ١٠٧٦ - ١٠٩٠م).
١٠- التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيرى في غرناطة، والمسمى بكتاب مذكرات الأمير عبدالله، اخر ملوك بني زيرى بغرناطة، تحقيق ليفي بروفنسال، مصر، دار المعارف، ١٩٥٥.
ابن حزم:أبو محمد علي بن سعيد (ت ٤٥٦ هـ/ ١٠٦٤م)
١١- جمهرة انساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط٣، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٧.
١٢- رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق احسان عباس، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ج١ - ٢- ٣- ١٩٨١.
الحميدي: أبي عبدالله محمد بن أبي نصر (ت ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م)
١٣- جذوة المقتبس، القاهرة، الدار المصرية للتاليف والترجمة، ١٩٦٦
الحميري: محمد بن عبد المنعم (ت ٧٢٧ هـ/ ١٣٢٦م)
١٤- الروض المعطار في خبر الاقطار، تحيق احسان عباس، بيروت دار القلم، ١٩٧٥.
ابن حوقل: أبو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت ٣٦٧ هـ/ ١٩٧٧م)
١٥- صورة الارض، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٧٩
ابن حيان: أبو مروان حيان بن خلف، (ت٤٦٩ هـ/ ١٠٧٦م)

١٦- المقتبس، تحقيق شالميتا وآخرون، مدريد، المعهد الاسباني العربي للثقافة، ١٩٧٩، ج٥.

١٧- المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٥.

١٨- المقتبس من انباء أهل الأندلس، تحقيق محمود علي مكي، القاهرة، لجنة احياء التراث الإسلامي، ١٩٧١.

أبن الخطيب: لسان الدين محمد (ت ٧٧٦ هـ/ ١٣٧٤م)

١٩- أعمال الإعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، نشر تحت عنوان: تاريخ اسبانيا الإسلامية، تحقيق ليفي بروفنسال، ط٢، بيروت، دار الكشوف، ١٩٥٦، القمم الخاص باسبانية.

ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥م).

٢٠- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، بيروت ، مؤسة الاعلمي، ١٩٧١، ج٢ - ٤.

الدينوري: ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ/ ٨٨٩م).

٢١- المعارف، تحقيق محمد اسماعيل عبدالله الصاوي، القاهرة، المطبعة الإسلامية، الأزهر، ١٩٣٤.

ابن أبي زرع: أبو الحسن علي بن محمد (كان حيا قبل عام ٧٢٦ هـ/ ١٣٢٥م)

٢٢- الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، دار المنصور، ١٩٧٢.

ابن سعيد: علي بن موسى واسرته (ت ٦٥٨ هـ/ ١٢٨٦م)

٢٣- المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، ط٢، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٤، ج١- ٢.

السيوطي: جلال الدين بن عبد الرحمن (ت ٩١١ هـ/ ١٥٠٥م)

٢٤- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، نشر عيسى البابي وشركاؤه، ١٩٦٤، ج١، ١٩٦٥، ج٢.

الضبي: احمد بن يحيى بن احمد (ت ٥٩٩ هـ/ ١٢٠٢م)

٢٥- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، نشر فرانيسكو كوديرا، مدريد، ١٨٨٤.

الطبري: محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ/ ٩٢٢م)

٢٦- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٤، ج٢.

الطرطوشي: أبو بكر محمد بن محمد (ت ٥٢٠ هـ/ ١١٢٦م).

٢٧- سراج الملوك، القاهرة، المطبعة المحمودية التجارية بالازهر، ١٩٣٥.

ابن عذاري المراكشي: أبو العباس احمد بن محمد (توفي بعد سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢م).

٢٨- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج٢، نشر ج- س كولان وليفي بروفنسال، ليدن، ١٩٤٨، ج٣، نشر ليفي بروفنسال، باريس، ١٩٣٠، ج٤، الخاص بالمرابطين، تحقيق احسان عباس وقد اعادت دار الثقافة في بيروت نشر هذه الاجزاء سنة ١٩٦٧.

العذري: احمد بن عمر (ت ٤٧٨ هـ/ ١٠٨٥م)

٢٩- نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الاخبار وتنويع الاثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الاهواني، (مدريد، معهد الدراسات الإسلامية، ١٩٦٥).

العسقلاني: احمد بن علي بن حجر (ت ٨٥٢ هـ/ ١٤٤٨م)

٣٠- الاصابة في تمييز الصحابة، تحقيق، علي محمد البجاوي، القاهرة، دار نهضة مصر، بدون تاريخ، ج٣.

ابن الفرضي: أبي الوليد عبدالله بن محمد (ت ٤٠٣ هـ/ ١٠١٣م)

٣١- تاريخ العلماء والرواة للعلم والأندلس، ط٢، القاهرة، مكتبة المدني، ١٩٨٨، ج١.

القلقشندي: أبو العباس احمد بن علي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٦م).

٣٢- صبح الاعشى في صناعة الانشا، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والنشر، بدو تاريخ، ج٥.

ابن القوطية: أبو بكر محمد (ت ٣٦٧ هـ/ ٩٧٧م)

٣٣- تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبدالله انيس الطباع، بيروت، دار النشر للجامعيين، ١٩٥٨.

ابن الكرديوس: أبو مروان عبد الملك (٥٧٣هـ/ ١١٧٧م)

٣٤- تاريخ الأندلس لابن الكريدوس ووصفه لابن الشباط، نصان جديدان، النص الأول: قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق احمد مختار العبادي، (مدريد، معهد الدراسات الإسلامية، ١٩٧١).

مجهول المؤلف:

٣٥- أخبار مجموعة: نشر لافونتي القنطرة، مدريد، ١٨٦٧.

مجهول المؤلف:

٣٦- الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبدالقادر زمامة، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، ١٩٧٩.

مجهول المؤلف:

٣٧- ذكر بلاد الأندلس، تحقيق وترجمة لويس مولينا، مدريد المجلس الأعلى للابحاث العلمية، معهد فيغل اسين، ١٩٨٣، ج١.

مجهول المؤلف:

٣٨- فتح الأندلس، نشر دون خواكين دي كونثالث، الجزائر، ١٨٨٩.

المقرى: احمد بن محمد (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م)

٣٩- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق احسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٦٨، مج١- ٢- ٣- ٤- ٧.

المقريزي: تقي الدين احمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ/ ١٤٤١م).

٤٠- اغاثة الامة بكشف الغمة، نشر محمد مصطفى زيادة، وجمال الدين الشيال، القاهرة، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، ١٩٤٠.

النويري: شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣ هـ/ ١٣٣٢م).

٤١- نهاية الارب في معرفة فنون الادب، تحقيق أحمد كمال زكي، القاهرة، المكتبة المصرية، العامة للكتاب، ١٩٨٠)، ج٢٣.

ب- المراجع الثانوية:

اشباخ، يوسف:

٤٢- تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبدالله عنان، القاهرة، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، ١٩٥٨.

بروفنسال، أ- ليفي:

٤٣- الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة السيد محمود عبد العزيز سالم، القاهرة، مكتبة نهضة مصر، بدون تاريخ.

تشركوا، كليليا سارنللي:

٤٤- مجاهد العامري قائد الاسطول العربي في غرب البحر المتوسط في القرن الخامس الهجري، القاهرة، مطبعة لجنة البيان العربي، ١٩٦١.

التواتي، عبد الكريم:

٤٥- مأساة انهيار الوجود العربي بالأندلس، الدار البيضاء، مكتبة الارشاد، ١٩٦٧.

الحجي، عبد الرحمن علي:

٤٦- التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، الرياض، دار القلم، ١٩٧٦.

دوزي: رينهارت:

٤٧- تاريخ مسلمي اسبانيا، ترجمة حسن حبشي، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٣.

٤٨- ملوك الطوائف، ونظرات في تاريخ الإسلام، ترجمة كامل كيلاني، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٣٣.

ديفز . هـ. و:

٤٩- اوربا في العصور الوسطى، ترجمة عبد الحميد حميد محمود الاسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٥٨.

رنسيمان، ستيفنسن:

٥٠- تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، بيروت دار الثقافة، ١٩٦٧، ج١.

سالم، السيد عبد العزيز:

٥١- تاريخ مدينة المرية الإسلامية، قاعدة اسطول الأندلس، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٦٩.

السامرائي، خليل إبراهيم:

٥٢- الثغر الأعلى الأندلسي، دراسة في احواله السياسية (٩٥- ٣١٦هـ/ ٧١٤ - ٩٢٨م)، (بغداد، مطبعة اسعد، ١٩٧٦)

سباين، جورج:

٥٣- تطور الفكر السياسي، ترجمة حسن جلال العروسي، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٩، ج٢.

سيسالم، عصام سالم:

٥٤- جزر الأندلس المنسية، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٤.

الشرقاوي، محمد عبدالله:

٥٥- رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين وجواب القاضي أبو الوليد الباجي عليها، دراسة وتحقيق، القاهرة، دار الصحوة، ١٩٨٦.

عاشور، سعيد عبد الفتاح:

٥٦- اوروبا العصور الوسطى، التاريخ السياسي، ط٥، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٢، ج١.

عنان، محمد عبدالله:

٥٧- الاثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال، ط٢، القاهرة، مؤسسة الخانجي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦١.

٥٨- دول الطوائف منذ قيامها وحتى الفتح المرابطي، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٠.

٥٩- مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، ط٤، القاهرة، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، ١٩٦٢.

٦٠- نهاية الأندلس، وتاريخ العرب المستنصرين، ط٢، القاهرة، مطبعة مصر، ١٩٥٨.

مكي، الطاهر احمد:

٦١- ملحمة السيد، تقديم ودراسة، ط٢، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٩.

٦٢- دراسات اندلسية، القاهرة، مطبعة القاهرة الجديدة، دار المعارف، ١٩٨٠.

الناصري، أبو العباس احمد بن خالد:

٦٣- الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى، تحقيق جعفر ومحمد الناصري، الدار البيضاء، دار الكتاب، ١٩٥٤، ج٢.

هلستر – س. ورن:

٦٤- اوربا في العصور الوسطى، ترجمة محمد فتحي الشاعر، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٨٨.

واط، مونتكمري:

٦٥- تأثير الإسلام على اوربا في العصور الوسطى، ترجمة عادل نجم عبو، الموصل، مديرية دار الكتب، ١٩٨٣.

مؤنس، حسين:

٦٦- بلاي وميلاد اشتريس وقيام حركة المقاومة النصرانية في شمال اسبانيا، مجلة كلية الاداب، مج١١، ج١، القاهرة، ١٩٤٩.

المصادر الأجنبية

Baron , Salo:

67- The social and Religius History of the Jews, Philadelphia, 1957, 2ed ; Vol V.

Dozy, Reinhart, :-

68- Spanish Islam , Ahistory of the Moslems in spain , London, 1913, Vol 2.

Dunlop, D.M, :

69- "A Christian Mission to Muslim Spain in the 11 th Century" , Al-ANDALUS , Vol 17 , Madrid ,1952.

Koenigsberger , Hlmut Georg:-

70- "History of Spain" , The new, Encyclopeadia Britannica Vol 17. 1974.

Mackay , Angus :-

71- Spain in the Middle Ages from frontier, to Empire, 1000-1500 , London, 1977 .

Provencal, Levi:-

72- La Description de Lespaganed' Ahmad al -Razi, Al-ANDALUS,Vol,XVLL , Madrid, 1953.

المحتويات

الفصل الرابع:




al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

